أفأمنوا مكر الله؟

الحمد لله المتفضل على خلقه بالرحمة والإحسان الناظر إليهم بغير إهمال، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى المختار، وبعد

فإن القرآن كلام الله حقيقة بحرف وصوت من غير تشبيه ولا تعطيل حثنا وأرشدنا ربنا جل وعلا فيه فقال {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٤]، ذلك لأن الله القدير يورث علماً وفهماً، والعلم والفهم يورثان عملاً قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ } [الصف: ٢، ٣]، وقد أقام رب العالمين حجته على خلقه مخوفاً ومحذراً من مخالفة أوامره والتجرؤ على زواجره فقال تعالى {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف: ٩٦ – ٩٩].

أخبرنا ربنا جل وعلا قبل هذه الآيات عن قلة إيمان أهل القرى الذين أُرسل إليهم الرسل، وأن المكذبين للرسل المتمردين على قبول رسالاتهم يُبتلون بالضراء موعظة وإنذاراً، ويُبتلون بالسراء استدراجاً ومكراً فلما ذكر سبحانه وتعالى ذلك، قال { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا }.

والقرية: اسم للتجمع العمراني من قريْتُ الماء إذا جمعته، وأهل القرى هم الذين أُرسلت فيهم الرسل، وبلغتهم رسالة ربهم، فلو أنهم آمنوا وصدقوا واستيقنت قلوبهم بذلك لكان ذلك خيراً لهم فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِمُعَاذٍ: "اعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، دَخَلَ الجَنَّةَ". (١)

(١) صحيح. أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦/ ١٠) رقم ٣٢٢٨.

وفي حديث أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، وهو حديث طويل قَالَ: كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. . . . . فَقَالَ: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ" وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، قَالَ: "اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ". (٢)

وبرهان هذا التصديق وثمرته قوله "واتقوا " أي بفعل الطاعات وترك المحرمات، وفي ذلك إثبات لقاعدة رئيسة في عقيدة المسلم وهي " الإيمان ما وقر في القلب وصدقه القول والعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فلا إيمان بلا عمل ولا عمل بلا إيمان هما متلازمان سيان لا ينفكان " فهذا هو الشرط يقابله المشروط في قوله تعالى " لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ".

وفي هذا تقرير لقاعدة " الشرط مقابل المشروط وجوداً وعدماً نفياً وإثباتاً"، وبركات رب العالمين من السماء والأرض، بأن يرسل عليهم السماء مدراراً، وينبت لهم من الأرض ما به يعيشون، وما يعلم جنود ربك إلا هو، والله على كل شيء قدير، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

فلما كذب أهل القرى، وأعرضوا، ولما فسدوا وتمردوا أخذهم الله بما كانوا يكسبون، أخذهم بالعقوبات والبلايا وكثرة الآفات والعِلاَّت ونزع البركات، وذلك بما كانوا يكسبون من المعاصي والآثام والإعراض والتمرد على أوامر رب العباد، قال تعالى {فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ } [الزمر: ٥١]، وهذا الأخذ هو بعض جزاء أعمالهم، قال تعالى {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١]، وقال تعالى {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [السجدة: ٢١]، وهذا من كمال رحمته سبحانه وتعالى لعلهم يرجعون لأنه لو آخذهم بجميع ما كسبوا لعجل لهم العذاب، قال تعالى {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً } [الكهف: ٥٨]، ولما ترك على ظهرها من دابة قال تعالى {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ

(٢) صحيح مسلم (١/ ٥٩) رقم ٥٢(٣١).

بَصِيرًا} [فاطر: ٤٥]، وقال تعالى {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [النحل: ٦١]، فقوله " بما كسبوا " يوضح قوله " بظلمهم"، وقوله " يؤخرهم إلى أجل مسمى" فيها أنه يمهل ولا يهمل جل في علاه، وبرهان ذلك عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ". (٣)

ثم قال الملك الجبار، مخوفاً ومحذراً من مخالفة أوامره، والتجرؤ على زواجره " أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ"، الاستفهام للإنكار، أفأمن أهل القرى الكافرة المكذبة أو العاصية الفاسقة المتمردة، أن يأتيهم عذابنا وعقابنا ونكالنا الشديد ليلاً وهم نائمون مطمئنون، ثم قال " أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ" أي: لاهون منشغلون غافلون هكذا على غرة وغفلة وهذا أشد أنواع العذاب، ويحذركم الله نفسه، الذي بيده مقاليد الأمور، وأمره في كن فيكون قال تعالى " أفأمنوا مكر الله " حين يستدرجهم من حيث لا يعلمون قال تعالى {فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ} [القلم: ٤٤، ٤٥]، فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ " ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} [الأنعام: ٤٤]. (٤)

"فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون" وَلِهَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، رحمه الله: الْمُؤْمِنُ يَعْمَلُ بِالطَّاعَاتِ وَهُوَ مُشْفِق وَجِل خَائِفٌ، وَالْفَاجِرُ يَعْمَلُ بِالْمَعَاصِي وَهُوَ آمِنٌ. (٥)

وعَنِ الحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ قال حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ، حَدِيثَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالآخَرُ عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ

(٣) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٩٨) رقم ٩٩ (٢٧٤٢).

(٤) حسن أخرجه أحمد في مسنده (٢٨/ ٥٤٧) رقم ١٧٣١١، وغيره وانظر الصحيحة (١/ ٧٧٣) ٤١٣.

(٥) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ٤٥١).

يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ" فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شِهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ. . . . ". (٦)، وعند أحمد في مسنده فَقَالَ لَهُ: هَكَذَا فَطَارَ ". (٧)

فالأول مستعظم لذنبه والآخر مستخف به، وعَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: "إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ" قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ البخاري: "يَعْنِي بِذَلِكَ المُهْلِكَاتِ". (٨)

والمقصود أن المؤمن لا يزال خائفاً وجلاً من الملك الجبار الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، أن يبتليه ببلية تسلب ما معه الإيمان، فيختم له بخاتمة السوء فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا". (٩)

ولذا كان من دعائه ﷺ " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ". (١٠)

فالعبد مهما عمل وقدم فليس على يقين من السلامة " فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ"، وقال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا} [الكهف: ٥٧]، وقال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ } [السجدة: ٢٢].

نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرحمنا برحمته وأن يغفر لنا الزلات، وأن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه، إنه على كل شيء قدير وهو نعم المولى ونعم النصير.

كتبه

صبري محمد عبد المجيد.

---

(٦) صحيح البخاري (٨/ ٦٧) رقم ٦٣٠٨.

(٧) مسند أحمد (٦/ ١٣١) رقم ٣٦٢٧.

(٨) صحيح البخاري (٨/ ١٠٣) رقم ٦٤٩٢.

(٩) صحيح مسلم (١/ ١١٠) رقم ١٨٦ (١١٨).

(١٠) صحيح وانظر السلسلة الصحيحة (٥/ ١٢٦) رقم ٢٠٩١.

الاختلاف والتنازع

الأسباب والعلاج

آثار الاختلاف والتنازع - الأسباب - العلاج

إنّ دين الإسلام حريص على سلامة أمّته وحفظ كيانها ولذلك فهو يطفئ بقوّة بوادر الخلاف والنّزاع، ويهيب بالأفراد كافّة أن يتكاتفوا على إخراج الأمّة من ورطات الشّقاق والنزاع، ولا يخفى على كل مسلم بصير ما تعيشه أمة الإسلام من شتات وفرقة، واختلافات أوجبت عداوة وشقاقاً؛ إذ تجاذبت أهلَها الأهواء، وتشعبت بهم البدع، وتفرقت بهم السبل، فلا عجب أن تراهم بين خصومة مذهبية، وحزبية فكرية، وتبعية غربية أو شرقية. . . وإذا كان المسلمون اليوم يلتمسون الخروج من هذا المأزق فلا سبيل إلاّ بالبحث عن الأسباب التي أودت إلى الاختلاف والنزاع ثم البحث عن وسائل العلاج.[١]

- وقوع الاختلاف أمر قدري ولا يُرفع إلا بالأسباب الشرعية

فقد أخبر الله تعالى أن الاختلاف واقع في هذه الأمة قَدَراً قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ } [هود: ١١٨، ١١٩]

قَالَ الْحَسَنُ وَمُقَاتِلٌ: أَيْ وَلِلاخْتِلاَفِ خَلَقَهُمْ.[٢] هذا المعنى على أحد التفسيرين.

- الخلاف المذموم هو الممنوع شرعاً

قال ابن القيم رحمه الله: ووقوع الاختلاف بين الناس أمرٌ ضروري لا بد منه لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم، ولكن المذموم بغيٌ بعضهم على بعض وعدوانه، وإلا فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزب وكلٌّ من المختلفين قصدُه طاعة الله ورسوله لم يضر ذلك

(١) مجلة البيان (٥/ ٢٠٥)

(٢) تفسير القرطبي (٩/ ١١٥)

الاختلاف فإنه أمرٌ لابد منه في النشأة الإنسانية، ولكن إذا كان الأصل واحدا والغاية المطلوبة واحدة والطريق المسلوكة واحدة لم يكد يقع اختلاف وإن وقع كان اختلافا لا يضر كاختلاف الصحابة.[٣]

فالأصل ذم الخلاف وتجنبه، ما دام اختلافاً حقيقياً قد يسبب فرقة ويوقع في تعارض، وهذا ما دلت عليه نصوص الوحيين.

***- آثار الاختلاف والتنازع**

فإن التنازع والاختلاف في المجتمع المسلم له آثاره الخطيرة على الأمة، سواء كان هذا التنازع على مستوى الأفراد أو المجتمعات ومن ذلك:

١ – أنه سبب للتدابر والتقاطع

عَنْ أَبِي مَسْعُود الأنصاري ﷺ، قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ).[٤]

قال ابن الجوزي رحمه الله: أَي أَنكُمْ إِذا اختلفتم بالظواهر عُوقِبْتُمْ باخْتلاَف الْقُلُوب.[٥]

٢ – أنه سبب للفشل وذهاب للقوة

قال تعالى{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦]

قال الشنقيطي رحمه الله: نَهَى اللَّهُ جَلَّ وَعَلاَ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَنِ التَّنَازُعِ، مُبَيِّنًا أَنَّهُ سَبَبُ الْفَشَلِ، وَذَهَابُ الْقُوَّةِ.[٦]

قال ابن كثير رحمه الله: فَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ائْتَمَرُوا، وَمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ انْزَجَرُوا، وَلَا يَتَنَازَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ أَيْضًا فَيَخْتَلِفُوا فَيَكُونَ سَبَبًا لِتَخَاذُلِهِمْ وَفَشَلِهِمْ. {وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} أَيْ: قُوَّتُكُمْ وَحِدَّتُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْإِقْبَالِ.[٧]

---

(٣) الصواعق المرسلة (٢/ ٥١٩)

(٤) رواه مسلم (٤٣٢)

(٥) كشف المشكل(٢/ ٢٠٥)

(٦) أضواء البيان(٢/ ١٠٢)

وهذا مثال من واقع الصحابة ﷺ، لما اختلف بعضهم في غزوة أُحد وعصوا أمراً واحداً، حدث ما حدث، ليكون ذلك عبرة لمن بعدهم، قال تعالى{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ } [آل عمران: **١٥٢**]

٣ - التفرق والاختلاف سبب للذَّم ولحوق الوعيد

قال تعالى { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [آل عمران: **١٠٥**]

وقال تعالى{ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } [الأنعام: **١٥٩**]

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ((أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ)). (٨)

٤ - الاختلاف والتنازع سبب هلاك الأمم وذهاب الدول

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلاً قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقْرَأُ خِلاَفَهَا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَةَ، وَقَالَ: (كِلاَكُمَا مُحْسِنٌ، وَلاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا). (٩)

***- الأسباب التي تؤدي إلى الاختلاف والتنازع:**

هناك أسباب تؤدي إلى وقوع الاختلاف والتنازع لابد من معرفتها لنحذرها ونجتنبها منها:

أولا: بغي الخلق بعضهم على بعض وظلمهم لبعضهم

---

(٧) تفسير ابن كثير(٤/ ٧٢)

(٨) رواه أبو داود (٤٥٩٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥١٦)

(٩) رواه البخاري (٣٤٧٦)

كما قال الله عز وجل: { فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } [الجاثية: ١٧] فحب العلو في الأرض وتسلط الخلق بعضهم على بعض هو من أعظم أسباب الخلاف، ولذا فقد حذر الرسول ﷺ، منه ومن الوقوع فيه فقال: (لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ). (١٠)

ثانيا: اتباع الهوى

اتباع الهوى من أكبر الأسباب في ردِّ الحق والتكبر عليه والإقامة على الباطل والتشبث به كما قال سبحانه: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ } [الجاثية: ٢٣]

وعَنْ عَلِيّ بن أبي طالب رضي الله عنه، قَالَ: إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَتَيْنِ طُولُ الْأَمَلِ وَاتِّبَاعُ الْهَوَى، فَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ. (١١)

لذلك كان اتباع الهوى من أعظم أسباب التفرق والتنازع ووقوع العداوة والبغضاء بين الناس.

قَالَ أَبُو الْعَالِيَة رحمه الله: إِيَّاكُم وَهَذِه الْأَهْوَاء الَّتِي تلقى بَين النَّاس الْعَدَاوَة والبغضاء. (١٢)

ثالثا: اتباع وساوس الشيطان

والشيطان عدو لبني آدم كما أخبر الله بذلك بقوله: { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر: ٦] وهو لا يألو جهدًا في الإيقاع بين المسلمين وإلقاء العداوة بينهم

فعَنْ جَابِر بن عبد الله رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ). (١٣)

---

(١٠) رواه البخاري (١٢١) ومسلم (٦٥) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(١١) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ١٠٧)

(١٢) الاستقامة (١/ ٢٥٤)

(١٣) رواه مسلم (٢٨١٢)

قال النووي رحمه الله: ومعناه أيس أن يعبده أهلُ جزيرة العرب ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن ونحوها. (١٤)

رابعا: اتباع المتشابه:

فاتباع المتشابه هو منشأ التفرق ووقوع التنازع في الأمة، وما ضلَّت الفرق إلا بسبب اتباع المتشابه وترك المحكم الواضح، وقد حذر الله تعالى هذه الأمة من اتباع المتشابهات، فقال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } [آل عمران: ٧]

قال الشاطبي رحمه الله: وَمَعْنَى الْمُتَشَابِهِ: مَا أُشْكِلَ مَعْنَاهُ، وَلَمْ يُبَيَّنْ مَغْزَاهُ، وَهُوَ مَا يَحْتَاجُ فِي بَيَانِ مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيِّ إِلَى دَلِيلٍ خَارِجِيٍّ، وَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ ظَاهِرَ الْمَعْنَى لِبَادِي الرَّأْيِ. (١٥) **وسبيل أهل الحق:** الإيمان بالمتشابه وردُّه إلى المحكم ليبينه، ويزيل اشتباهه.

خامسا - التأويل الباطل للنصوص

فبالتأويل استحلت الأموال والأنفس والفروج وغُيِّر وجهُ الدين عن طريق التأويل الباطني والصوفي والكلامي وغيرها من التأويلات الباطلة.

قال ابن القيم رحمه الله: فَأَصْلُ خَرَابِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا إِنَّمَا هُوَ مِنْ التَّأْوِيلِ الَّذِي لَمْ يُرِدْهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِكَلَامِهِ وَلَا دَلَّ عَلَيْهِ أَنَّهُ مُرَادُهُ، وَهَلْ اخْتَلَفَتْ الْأُمَمُ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ إِلَّا بِالتَّأْوِيلِ؟ وَهَلْ وَقَعَتْ فِي الْأُمَّةِ فِتْنَةٌ كَبِيرَةٌ أَوْ صَغِيرَةٌ إِلَّا بِالتَّأْوِيلِ؟. ، وَهَلْ أُرِيقَتْ دِمَاءُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْفِتَنِ إِلَّا بِالتَّأْوِيلِ؟. (١٦)

---

(١٤) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٥٦)

(١٥) الاعتصام للشاطبي ت الهلالي (٢/ ٧٣٦)

(١٦) إعلام الموقعين(٤/ ١٩٢)

سادسا -: الجدال والخصومة في الدين.

والمقصود بذلك الجدال المذموم وهو ما كان بغير حجة ولا دليل، أو الجدال لنصرة الباطل والشغب للتمويه على الحق، وقد كان الكفار يفعلونه كثيراً، قال تعالى: {وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ} [غافر: ٥]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ)، ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، هَذِهِ الآيَةَ: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ}. (١٧)

وقال عبد الرحمن بْنِ أَبِي لَيْلَى رحمه الله: لَا تُمَارِ أَخَاكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَقَالَ: لَا أُمَارِي أَخِي إِمَّا أَنْ أُغْضِبَهُ وَإِمَّا أُكَذِّبَهُ. (١٨)

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ – رحمه الله -: الْمِرَاءُ فِي الْعِلْمِ يُقَسِّي الْقُلُوبَ وَيُورِّثُ الضَّغَائِنَ. (١٩)

سابعا -: التعصب للآراء والمذاهب.

والتعصب الممقوت هو: عدم قبول الحق بعد ظهور دليله.

قال تعالى{ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } [المؤمنون: ٥٣]

قال ابن القيم رحمه الله: جَعَلُوا التَّعَصُّبَ لِلْمَذَاهِبِ دِيَانَتَهُمْ الَّتِي بِهَا يَدِينُونَ، وَرُؤوسَ أَمْوَالِهِمْ الَّتِي بِهَا يَتَّجِرُونَ. (٢٠)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا). (٢١)

---

(١٧) رواه الترمذي (٣٢٥٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع(٢/ ٩٨٤)

(١٨) الزهد لهناد بن السري (٢/ ٥٥٧)

(١٩) الآداب الشرعية (١/ ٢٠٢)

(٢٠) إعلام الموقعين (١/ ٦)

- الأسباب التي تمنع الاختلاف وتزيله:

١- توحيد مصدر التلقي:

إذا أردنا أن تأتلف قلوبنا ويجتمع شملنا، فلننهل جميعًا من النبع الصافي: كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فأحكام الشرع جاءت لتؤلف القلوب، وتوحد الصف، قال تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [الأنعام: **١٥٣**]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ)). (٢٢)

وعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنِّي قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ). (٢٣)

٢ - الرجوع عند التنازع والاختلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

فالرجوع عند التنازع إلى كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- من أنجع السبل في الوقاية من داء الاختلاف،

كما قال الله تعالى: { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [النساء: **٥٩**]

وقال تعالى{وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [الشورى: ١٠]

---

(٢١) رواه مسلم (٢٥٦٣)

(٢٢) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ١٧٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع(١/ ٥٦٦)

(٢٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٤٩) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٣)

وفي حديث الْعِرْبَاض بن سارية ﷺ: أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ). (٢٤)

٣ - لزوم جماعة المسلمين ونبذ الفرقة

قال تعالى آمراً عباده المؤمنين { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: **١٠٣**]

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ رضي الله عنه، بِالجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِينَا فَقَالَ: (. . . . عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ. . .). (٢٥)

ما المقصود بالجماعة؟

قال أبو القاسم شهاب الدين المعروف بأبي شامة: وَحَيْثُ جَاءَ الْأَمر بِلُزُوم الْجَمَاعَة فَالْمُرَاد بِهِ لُزُوم الْحق واتباعة وإن كَانَ المتمسك بِالْحَقِّ قَلِيلا والمخالف كثيرا لِأَن الْحق الَّذِي كَانَت عَلَيْهِ الْجَمَاعَة الأولى من النَّبِي ﷺ، وَأَصْحَابه رضي الله عنهم، وَلَا نظر الى كَثْرَة أهل الْبَاطِل بعدهمْ. (٢٦)

قَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيُّ رحمه الله: **قال لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ** رضي الله عنه، أَتَدْرِي مَا الْجَمَاعَةُ؟ قُلْت: لَا، قَالَ: إِنَّ جُمْهُورَ الْجَمَاعَةِ هُمْ الَّذِينَ فَارَقُوا الْجَمَاعَةَ، الْجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ الْحَقَّ وَإِنْ كُنْت وَحْدَك.

٤ - حسن الظن بالمخالف الذي يبتغي الحق:

فالشكوك والقدح في نيات الآخرين كفيلة بإيجاد جفوة وفجوة بعيدة لا يمكن التلاقي فيها، لكن الواجب على المسلم أن يحسن الظّنّ بكلام أخيه المسلم، وأن يحمل العبارة المحتملة محملا حسنا.

---

(٢٤) رواه أبو داود (٤٦٠٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٤٩٩)

(٢٥) رواه الترمذي (٢١٦٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٤٩٩)

(٢٦) الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص: ٢٢)

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ رحمه الله، قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ بَعْضُ إِخْوَانِي مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنْ ضَعْ أَمَرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ حَتَّى يَأْتِيَكَ مَا يَغْلِبُكَ، فَلاَ تَظُنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ شَرًّا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا مِنَ الْخَيْرِ مَحْمَلاً. (٢٧) فهكذا يجب أن نحمل آراء الآخرين على المحمل الحسن ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً، عندها سنجد أن كثيراً من الاختلافات قد زالت.

٥ ـ التثبت قبل إطلاق الأحكام:

وذلك امتثالاً لقول الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦]

قال الحسن البصريّ رحمه الله: المؤمن وقّاف حتّى يتبيّن. (٢٨)

ومن أصول التثبت في الأخبار هو النظر في عدالة المخبر، وضبطه لما ينقل، والتبين ممن أخذ هذا الخبر؛ فقد يكون أخذه من كاذب، ثم النظر في هذا الخبر قبل الحكم على الأمر؛ فقد يحتمل أوجهاً متعددة فيحمل على أحسنها، والواقع أنَّ كثيراً من الناس يحكمون على الآخرين من خلال ما يسمعونه عنهم من غير أن يكلفوا أنفسهم السؤال والتحري عن حقيقة ما سمعوا؛ وقد يكون ما سمعوه هو من اختلاق بعض المغرضين القاصدين للفرقة والنزاع بين المسلمين.

٦- الإخلاص في تحري الحق:

فالتجرد للحق، والإخلاص لله تعالى، يزيل عقبات الاختلاف؛ ولكن الأمر يحتاج إلى مجاهدة النفس في ذلك، وإلزامها الحق بقوة.

قال الشَّافِعِيّ رحمه الله: مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا أَحْبَبْتُ أَنْ يُوَفَّقَ وَيُسَدَّدَ وَيُعَانَ، وَيَكُونَ عَلَيْهِ رِعَايَةٌ مِنَ اللَّهِ وَحِفْظٌ. وَمَا نَاظَرْتُ أَحَدًا إِلَّا وَلَمْ أُبَالِ بَيَّنَ اللَّهُ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِي أَوْ لِسَانِهِ. (٢٩)

و**قَالَ أيضاً**: مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يُخْطِئَ. (٣٠)

---

(٢٧) التوبيخ والتنبيه لأبي الشيخ الأصبهاني (ص: ٧٦)

(٢٨) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٨٢)

(٢٩) حلية الأولياء (٩/ ١١٨)

(٣٠) آداب الشافعي ومناقبه (ص: ٦٨)

رءوس أقلام في الرؤى والأحلام

المقدمة:

مما لا يخفى على مسلم أن الله سبحانه وتعالى اختُصَّ بعلم الغيب، قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]، ومع هذا فإننا نرى أن جماعة من الناس لهم ولع شديد بالحديث فيما يتعلق بالأمور الغيبية، الماضي منها واللاحق، وتاقت نفوس ضعيفة إلى مكاشفتها، ما بين مؤمنٍ بالخرافة وراض بالكهانة، وآخرين سادرين في السجع والتخمين، يقذفون بالغيب في كل حين.

وأصبحت ترى اليوم الحديث عن الرؤى والأحلام قد جاوز المقدار، فلإن كان السائل عن الأمور الشرعية واحدا، فالسائل عن الرؤى والمنامات عشرة، ورأيت مهمومين مغمومين؛ يكلمك أحدهم أنه لم ينم ليالي عددا، والسر رؤيا رآها، وقد يكون عبَّرَها له جاهل بسوء، وترى فرحين سعداء، لكأنهم يترقبون بيوتهم أن تنقلب بساتين وقصورا، أو وسائدهم ذهبا، تعلقت النفوس بها، وأصبحت شغل شاغل، عقدت لها مجالس، ولها زبائن في أماكن شتى، مع أن آيات الله تُتلى عليهم بكرة وعشيا، وفيها قوله تعالى: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وتُقرأ عليهم سنة المصطفى وفيها قوله: ﴿في خمس لا يعلمهن إلا الله عز وجل: إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤][(١)].

من أجل ذلك وغيره؛ كان لزاما أن نسلط الضوء على المنهج الشرعي، والهدي النبوي تجاه الرؤى والأحلام في إيجاز واختصار.

---

(١) البخاري (٥٠)، مسلم (٥/٩) من حديث أبي هريرة ت.

أولا: من الآيات والأحاديث في الرؤى والأحلام:

قال الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

وقال عز وجل: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

وصح عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة بهذا الخصوص منها:

١) عن أَبِي هُرَيْرَةَ -رضى الله عنه- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ) قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: (الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ)(٢).

٢) عَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رضى الله عنه- قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ﴾(٣).

(٢) البخاري (٦٩٩٠).

٣) عَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رضى الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدِ انْقَطَعَتْ، فَلاَ رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ﴾، قَالَ: فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ، قَالَ: ﴿وَلَكِنِ الْمُبَشِّرَاتُ﴾، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: ﴿رُؤْيَا الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ، وَهِيَ جُزْءٌ مِن أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ(٤) ﴾(٥).

٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضى الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَالرُّؤْيَا ثَلاَثَةٌ(٦): فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ﴾(٧).

٥) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضى الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ، مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ﴾(٨).

٧) عَنْ أَبِي سَلَمَةَ -رضى الله عنه- قَالَ: إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا تُمْرِضُنِي، قَالَ: فَلَقِيتُ أَبَا قَتَادَةَ -رضى الله عنه- ، فَقَالَ: وَأَنَا كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا فَتُمْرِضُنِي، حَتَّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ، فَلاَ يُحَدِّثْ بِهَا إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِنْ رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاَثًا وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهَا، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ)(٩). **وفي رواية**

---

(٣) مسلم (٢٠٧/٤٧٩).

(٤) في بعض الروايات أن الرؤيا الصالحة جزء من أجزاء النبوة، وفي بعضها إلى سبعين جزءا، ولا تعارض بين هذه الروايات، قال القرطبي في إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/٢١٣): أشار الطبري إلى أن هذا الاختلاف راجع إلى اختلاف حال الرائي.

(٥) أحمد (١٣٨٢٤) بإسناد صحيح.

(٦) قال ابن حجر في فتح الباري (١٢/ ٤٠٧): وليس الحصر مرادا من قوله: ثلاث. لثبوت نوع رابع وهو: حديث النفس. ونوع خامس: وهو تلاعب الشيطان. وسادس: وهو رؤيا ما يعتاده الرائي في اليقظة. وسابع: وهو الأضغاث. اهـ مختصرا.

(٧) مسلم (٦/٢٢٦٣).

(٨) البخاري (٦٩٨٣).

(٩) مسلم (٤/ ٢٢٦١) واللفظ له.

البخاري: وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَإِنْ كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا أَثْقَلَ عَلَيَّ مِنَ الجَبَلِ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ هَذَا الحَدِيثَ فَمَا أُبَالِيهَا(١٠).

- وقد رأى رسول الله ﷺ رؤى وفسرها لأصحابه، ورأى الصحابة كذلك وفسرها لهم ﷺ، وفسر بعضهم لبعض، وفسر غيرهم إذا كانت الرؤى تحتاج إلى تفسير، ومن ذلك:

١) عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ -رضى الله عنه- ، حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: أَرَانِي فِي الْمَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَذَبَنِي رَجُلاَنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الْأَصْغَرَ مِنْهُمَا، فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ﴾(١١).

٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ، امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلاَلٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ﴾ فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ(١٢).

٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أُرِيتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أَنْزِعُ بِدَلْوِ بَكْرَةٍ عَلَى قَلِيبٍ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا، أَوْ ذَنُوبَيْنِ نَزْعًا ضَعِيفًا، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ حَتَّى رَوِيَ النَّاسُ، وَضَرَبُوا بِعَطَنٍ)(١٣).

---

(١٠) البخاري (٥٧٤٧).

(١١) مسلم (١٩/٢٢٧١).

(١٢) البخاري (٣٦٧٩)، مسلم (٢٠/٢٣٩٤).

(١٣) البخاري (٣٦٨٢).

- ومما أوله ﷺ وفسره لأصحابه:

١) عَنْ عبد الله بن عمر -رضى الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، شَرِبْتُ، يَعْنِي، اللَّبَنَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الرِّيِّ يَجْرِي فِي ظُفُرِي أَوْ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ نَاوَلْتُ عُمَرَ) فَقَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ؟ قَالَ: (العِلْمَ)(١٤).

٢) عن أَبِي هُرَيْرَةَ -رضى الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي المَنَامِ: أَنِ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ، يَخْرُجَانِ بَعْدِي﴾ فَكَانَ أَحَدُهُمَا العَنْسِيَّ، وَالآخَرُ مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابَ، صَاحِبَ اليَمَامَةِ(١٥).

٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ -رضى الله عنه- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ، وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ)، قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (الدِّينَ)(١٦).

٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فِي رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ فِي المَدِينَةِ: (رَأَيْتُ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ، خَرَجَتْ مِنَ المَدِينَةِ حَتَّى نَزَلَتْ بِمَهْيَعَةَ، فَتَأَوَّلْتُهَا أَنَّ وَبَاءَ المَدِينَةِ نُقِلَ إِلَى مَهْيَعَةَ) وَهِيَ الجُحْفَةُ(١٧).

---

(١٤) البخاري (٣٦٨١).

(١٥) البخاري (٣٦٢١)، مسلم (٢٢٧٤/ ٢١).

(١٦) البخاري (٣٦٩١).

(١٧) البخاري (٧٠٣٩).

ثانيا: من آداب الـرؤى والأحـــلام:

من مجموع الأحاديث التي صحت عن النبي ﷺ، يمكن إجمال القول فيما يتعلق بجملة من الآداب العامة للرؤى والأحلام:

أولا: تعظيم شأن الرؤيا الصالحة التي يراها المسلم أو تُرى له، وأنها من المبشرات التي يبشر بها المؤمن في حياته.

ثانيا: كلما كان المسلم صادقا صالحا كانت رؤياه أقرب إلى الوقوع، وهي لهم منحة من الله، وأما الكافر والفاسق والمخلط فلا، ولو صدقت رؤياهم أحيانا كما حدث للملك أيام نبي الله يوسف.

قال ابن القيم -رحمه الله-: والرؤيا مبدأ الوحي، وصدقها بحسب صدق الرائي، وأصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثا، وهي عند اقتراب الزمان لا تكاد تخطئ، كما قال النبي ﷺ، وذلك لبعد العهد بالنبوة وآثارها، فيتعوض المؤمنون بالرؤيا(١٨).

ثالثا: ما يراه الإنسان في نومه من الرؤى والأحلام أنواع منها: **الأول:** رؤيا حق، وهي الرؤيا الصالحة التي هي بشرى من الله لمن رآها أو رؤيت له، وهذه بشرى من الله، فليحمد الله عليها، ولا يخبر بها إلا من يحب فقط.

الثاني: رؤيا مما يحدث به الرجل نفسه، فهذه لا يبال بها.

الثالث: رؤيا أهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم، وعلى صاحبها اتباع النهج النبوي في ذلك:

أ) أن لا يحدث بها أحدا. ب) أن يبصق عن يساره ثلاثا إذا استيقظ. ج) أن يستعيذ بالله من الشيطان ثلاثا. د) أن يتحول عن جنبه الذي كان عليه. هـ) أن يصلي ركعتين إن استطاع. و) أن يستعيذ من شر رؤياه. فمن فعل ذلك فإنها لا تضره.

---

(١٨) مدارج السالكين (١/ ٧٤).

قال ابن سيرين: اتق الله في اليقظة، ولا تبال ما رأيت في النوم.

رابعا: أن لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح.

خامسا: إذا رأى جماعة من أهل الفضل والصلاح والدين رؤيا فهذا من علامات صدقها كما أخبر بذلك النبي ﷺ، **قال ابن القيم -رحمه الله-:** وإذا تواطأت رؤيا المسلمين لم تكذب، وقد قال النبي ﷺ لأصحابه لما أروا ليلة القدر في العشر الأواخر، قال: (أرى رؤياكم قد تواطأت في العشر الأواخر، فمن كان منكم متحريها فليتحرها في العشر الأواخر من رمضان)(١٩).

سادسا: النهي عن إخبار الرجل بتلعب الشيطان به في النوم، ففي حديث جابر بن عبد الله قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي قُطِعَ، قَالَ: فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: ﴿إِذَا لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ فِي مَنَامِهِ، فَلاَ يُحَدِّثْ بِهِ النَّاسَ﴾(٢٠).

سابعا: لا يؤخذ من الرؤيا حكم شرعي، ولا يحكم بها في أمور الناس ولا عليهم(٢١)؛ إذ هي مجرد ظن وتخمين، ولا برهان عليها ولا دليل قاطع وإن فسرت، فربما أخطأ من يفسر وإن كان حاذقا، فإن أبا بكر الصديق -رضى الله عنه- كان حاضرا عند النبي ﷺ ذات يوم فجاء رجل يسأل رسول الله ﷺ عن رؤيا رآها فقال أبو بكر -رضى الله عنه- للنبي ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ، وَاللهِ لَتَدَعَنِّي فَلأَعْبُرَنَّهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿اعْبُرْهَا﴾. فلما انتهى قال للنبي ﷺ: فَأَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ،

---

(١٩) مدارج السالكين (١/ ٧٥).

(٢٠) مسلم (١٧/٢٢٦٨).

(٢١) ذكر محمد بن أحمد التميمي المغربي في كتاب المحن (٢٦٠) هذه الحكاية التي تدل على مثل هذا المعنى، قال: دَخَلَ شَرِيكُ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَاضِي عَلَى الْمَهْدِيِّ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلافَةِ فَأَعْرض عَنهُ ثُمَّ سَلَّمَ عَلَيْهِ الثَّانِيَةَ فَقَالَ لَا سَلَّمَ اللَّهُ عَلَى الأَبْعَدِ قَالَ وَلِمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلِشَيْءٍ جَنَيْتُهُ أَمْ لأَمْرٍ أَحْدَثْتُهُ قَالَ فَقَالَ السَّيْفَ وَالنِّطْعَ قَالَ وَلِمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَجُوزُ قَتْلِي إِلا عَنْ عِلْمٍ تُعْلِمُنِي بِذَنْبِي. قَالَ: رَأَيْتُ فِي مَنَامِي كَأَنَّكَ تَطَأُ بِسَاطِي وَأَنْتَ مُعْرِضٌ عَنِّي فَقَصَصْتُ رُؤْيَايَ عَلَى مَنْ عَبَرَهَا فَقَالَ يُظْهِرُ لَكَ طَاعَةً وَيُضْمِرُ مَعْصِيَةً فَقَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رُؤْيَاكَ بِرُؤْيَا الْخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ وَلا مُعَبِّرُكَ بِيُوسُفَ الصِّدِّيقِ عَلَيْهِمَا السَّلامُ أَفَبِالأَحْلامِ الْكَاذِبَةِ تَضْرِبُ أَعْنَاقَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَاسْتَحْيَا الْمَهْدِيُّ ثُمَّ قَالَ اخْرُجْ عَنِّي.

أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا﴾(٢٢). فإذا كان هذا شأن الصديق -رضى الله عنه- وهو المعروف بتأويل الأحلام وتعبيرها فكيف الحال بمن هم دونه، وعلى الرائي إذ سأل عالما بالرؤيا أن لا يتعداه إلى غيره، فإن الرؤيا على ما تعبر غالبا(٢٣).

ثالثا: خطورةَ تعبير الرؤى من خلال الشاشات، وكذا المجامع الممتلئة بالحشود، وذلك للأمور التالية:

أولها: أن الانفتاح المطلق بالتعبير نوع فتنة من أجل حديثه في أمور الغيب، لا سيما أن أحدا لا يستطيع أن يجزم بصحة ما يقول العابر من عدمه، إلا من رأى ذلك في واقعه، وهذا شبه متعسِّر عبر الشاشات.

ثانيها: تعذّر معرفة حال الرائي عبر الشاشات والمجامع من حيث الاستقامة من عدمها، وهذا له صلة وثيقة بتعبير الرؤيا، فابن سيرين -رحمه الله- سأله رجلان كل منهما رأى أنه يؤذِّن، فعبرها للصالح منهما بالحج لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧]، وعبرها للآخر بأنه يسرق لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾. والشاطبي -رحمه الله- يقول في مثل هذه الحالة: فمتى تتعين الصالحة حتى يُحكم بها وتترك غير الصالحة؟.

---

(٢٢) البخاري (٧٠٤٦)، ومسلم (١٧/٢٢٦٩).

(٢٣) في حديث عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَتِ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَهَا زَوْجٌ تَاجِرٌ يَخْتَلِفُ، فَكَانَتْ تَرَى رُؤْيَا كُلَّمَا غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا، وَقَلَّمَا يَغِيبُ إِلاَّ تَرَكَهَا حَامِلاً، فَتَأْتِي رَسُولَ الله ﷺ فَتَقُولُ: إِنَّ زَوْجِي خَرَجَ تَاجِرًا وَتَرَكَنِي حَامِلاً، فَرَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ أَنَّ سَارِيَةَ بَيْتِي انْكَسَرَتْ، وَأَنِّي وَلَدْتُ غُلاَمًا أَعْوَرَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: خَيْرٌ، يَرْجِعُ زَوْجُكِ عَلَيْكِ إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى صَالِحًا، وَتَلِدِينَ غُلاَمًا بَرًّا، فَكَانَتْ تَرَاهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا، كُلُّ ذَلِكَ تَأْتِي رَسُولَ الله ﷺ فَيَقُولُ ذَلِكَ لَهَا، فَيَرْجِعُ زَوْجُهَا، وَتَلِدُ غُلاَمًا، فَجَاءَتْ يَوْمًا كَمَا كَانَتْ تَأْتِيهِ - وَرَسُولُ الله ﷺ غَائِبٌ - وَقَدْ رَأَتْ تِلْكَ الرُّؤْيَا فَقُلْتُ لَهَا: عَمَّ تَسْأَلِينَ رَسُولَ الله ﷺ يَا أَمَةَ الله؟ فَقَالَتْ: رُؤْيَا كُنْتُ أُرَاهَا فَآتِي رَسُولَ الله ﷺ فَأَسْأَلُهُ عَنْهَا فَيَقُولُ: خَيْرًا، فَيَكُونُ كَمَا قَالَ، فَقُلْتُ: فَأَخْبِرِينِي مَا هِيَ؟ قَالَتْ: حَتَّى يَأْتِيَ رَسُولُ الله ﷺ فَأَعْرِضَهَا عَلَيْهِ كَمَا كُنْتُ أَعْرِضُ، قَالَتْ: فَوَالله مَا تَرَكْتُهَا حَتَّى أَخْبَرَتْنِي، فَقُلْتُ: وَالله لَئِنْ صَدَقَتْ رُؤْيَاكِ لَيَمُوتَنَّ زَوْجُكِ، وَتَلِدِينَ غُلاَمًا فَاجِرًا، فَقَعَدَتْ تَبْكِي، وَقَالَتْ: مَا لِي حِينَ عَرَضْتُ عَلَيْكِ رُؤْيَايَ؟ فَدَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ وَهِيَ تَبْكِي فَقَالَ: مَا لَهَا يَا عَائِشَةُ؟ فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ وَمَا تَأَوَّلْتُ لَهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَهْ يَا عَائِشَةُ! إِذَا عَبَرْتُمْ لِلْمُسْلِمِ الرُّؤْيَا فَاعْبُرُوهَا عَلَى خَيْرٍ، فَإِنَّ الرُّؤْيَا تَكُونُ عَلَى مَا يَعْبُرُهَا صَاحِبُهَا. قالت: فَمَاتَ وَالله زَوْجُهَا، وَلَا أُرَاهَا إِلاَّ وَلَدَتْ غُلاَمًا فَاجِرًا. أخرجه: الدارمي (2334) وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (١٢/٤٣٢).

ثالثها: أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، فالمفسدة من خلال التعبير عبر الشاشات أشد من مصلحته، لأمور لا تخفى على متتبِّعها، لا سيما أنها في أمور غيبية وأنها كالفتوى، والسلف الصالح كانوا يتدافعون الفتوى ما استطاعوا، ناهيكم عن بعض الفساد المتحقق من خلال ما يشاهد ويسمع من تعبير رؤيا لشاب أو فتاة مثلا بأنه سيفشل في أمر ما، أو لامرأة تعبَّر لها بأن زوجها تزوج عليها سرًّا بامرأة أخرى.

ناهيكم عمن يرينَ مثل هذه الرؤى، فيكتفين بما سمعنَه من تعبير لغيرهم فيقِسن عليه دون الرجوع إلى عابر عالم اكتفاء بما سمعنَه أو شاهدنَه، فتكون الطامة حينئذ.

وأما ما يحتج به بعض الناس من أن رسول الله ﷺ كان يسأل أصحابه عمن رأى رؤيا ليعبرها لهم، والجواب على هذا من وجوه:

الوجه الأول: أن هذا رسول الله ﷺ، وتعبيره حق لا يشوبه شائبة.

الوجه الثاني: أن تعبيره ﷺ كان في مسجد يحضره عدد ليس كالأعداد التي تعَدُّ بالملايين حينما تشاهد التعبير عبر الشاشات، وما ظنكم بحضور عند رسول الله ﷺ من الصحابة العقلاء الفضلاء مقارنة بحضور عند غيره؟! فأين الثرى من الثريا؟!

الوجه الثالث: أنه لم يثبت عن أحد من الصحابة كالخلفاء الأربعة ولا من بعدهم من التابعين أنه كان يفعل في المسجد كما كان النبي ﷺ يفعل، لا سيما أبو بكر -رضى الله عنه- ، وقد شهد له النبي بأنه عارف بتعبير الرؤى.

رابعا: إلى المعبرين والمفسرين:

إن الرؤى المفزعة والأحلام المقلقة، من المداخل التي يدخل الشيطان بها للتشويش على أهل الإيمان، حتى يشتت الفكر، ويدمر العقل، ويحدث القلق والاضطراب، فعلى الذين يعبُرون الرؤى، أن يعلموا أن عليهم مسؤولية عظمى تجاه الرائين.

فلا بد للعابر أن يكون عالما بهذا العلم العظيم، وأن يدرك المصالح والمفاسد في هذا الميدان، وأن لا ينصِّب نفسه للفتيا في الرؤى ويتطلَّع إليها، فتعبير الرؤى قرين الفتيا؛ وقد قال الملك: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

قيل لمالك -رحمه الله-: أيعبر الرؤيا كل أحد؟ فقال: أبالنبوة يلعب(٢٤).

وقال أيضا -رحمه الله-: لا يعبر الرؤيا إلا من يحسنها، فإن رأى خيرا أخبر به، وإن رأى مكروها فليقل خيرا أو ليصمت. **قيل:** فهل يعبرها على الخير وهي عنده على المكروه؛ لقول من قال إنها على ما أولت عليه؟ **فقال:** لا. **ثم قال:** الرؤيا جزء من النبوة فلا يتلاعب بالنبوة(٢٥).

وقال ابن القيم -رحمه الله-: المفتي والمعبِّر والطبيب يطَّلعون من أسرار الناس وعوراتهم على ما لا يطلع عليه غيرهم، فعليهم استعمال الستر فيما لا يحسن إظهاره(٢٦).

إن نبينا ﷺ كان قبل النبوة لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وأما بعد النبوة فرؤياه ﷺ وحي يوحى، وإن التزام الطريق المستقيم، والنهج القويم، واتباع سبيل المؤمنين، والتماس أوقات البركة من سبل صدق الرؤيا. (٢٧).

ومن الخطأ اتخاذ الرؤى هاديا ودليلا يترسَّم به المرءُ الطريق، ويتبصر به الحق، ومن الخطأ كذلك أن يسارع المرء إلى التصديق بكل ما يحكى من الرؤى، أو يغترَّ بتأويلها؛ لا سيما في هذا الزمان الذي رق فيه الإيمان، وكثر فيه الكذابون المتفيهقون، وأصبح اشتغال الناس بالرؤى وتأويلها أكثر من اشتغالهم بالعمل الذي يواجهون به حقائق الواقع الأليم، فهذه مريضة ترى رسول الله ε في المنام فتشفى ويوصيها بكتابة ما حدث وتوزيعه على الناس، ويكتبها من وصلت إليه ويوزعها على غيره، فمن فعل ذلك فبشراه بشراه، نال الدرجة

---

(٢٤) التمهيد لابن عبد البر (١/٢٨٨).

(٢٥) المرجع السابق.

(٢٦) إعلام الموقعين (٤/١٩٧).

(٢٧) مدارج السالكين (١/٧٦).

العليا والمنزلة الفاضلة، ومن لم يفعل فويل له ثم ويل له؟! !

نصدق نبينا الكريم ﷺ من كون الرؤى جزء من أجزاء النبوة، لكننا نرتاب أن يكون كل ما يروى من أحلام الناس اليوم هي من جملة تلك الرؤى الصالحة المبشرة.

قال ابن القيم -رحمه الله-: ورؤيا الأنبياء وحي، فإنها معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة، وأما رؤيا غيرهم فتعرض على الوحي الصريح، فإن وافقته وإلا لم يعمل بها(٢٨).

فثمة أمور تدفعنا للتريث، وتبطئنا عن المسارعة إلى تصديق كل ما يروى من الأحلام وبما يحكى من تأويلها.

أين نحن من قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) [الرعد: ١١]، وهذه سنة جارية في الخير والشر جميعا. وأين نحن من قوله عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد: ٧] مع قوله: (وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) [محمد: ٣٨]. القصدَ القصدَ في الاشتغال بالرؤى والانسياق لتأويل المعبرين؛ فإنه ليس يجدينا الآن الفزع إلى المنامات والأحلام، ومحاولة تنزيلها على الواقع.

إنما الذي يجدينا تلك الحلول الواقعية العملية التي تأخذ سنن الله الثابتة، وتستهدي بنورها، والتوجه إلى الإيجابيات من الأعمال التي تستفرغ التفكير والجهد؛ وإن ذلك لجدير أن يطرد عنا هذا الوهم والانخداع(٢٩).

---

(٢٨) مدارج السالكين (١/ ٧٥).

(٢٩) من مقال للدكتور/ سامي بن عبد العزيز الماجد بعنوان: تعبير الأحلام والاستسلام لخدرها. وللمزيد انظر فضلا لا أمرا: كتاب الرؤيا لحمود بن عبد الله التويجري، الرؤى والأحلام: أخطاء ووقفات لفيصل بن عبد الرحمن الشدي، الرؤى والأحلام في ميزان الإسلام لسعود بن إبراهيم الشريم، أحكام الرؤى والأحلام لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ، رءوس أقلام في الرؤى والأحلام لمحمد بن صالح المنجد.

طوبى للغرباء

عناصر الخطبة:

١- مقدمة. ٢- تعريف الغربة. ٣ – لماذا الغربة.

٤- مظاهر الغربة ٥- صفات أهلها ٦- واجبنا نحوها

مقدمة: لقد جاء الإسلام والناس في غربة شديدة، فثبت الصحابة رضوان الله عليهم أمام تلك الغربة وأهلها، وتمسكوا بدين الله عز وجل رغم ما لاقوه من شدائد وآلام، حتى تغلبوا على تلك الغربة، وقضوا عليها في مدة وجيزة، وأقاموا دولة الإسلام، ولكن أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم أن الغربة سوف تعود، وها هي قد عادت بكل مظاهرها، فلزاماً على المسلم الحق أن يقف أمام هذه الغربة، وأن يثبت في وجهها، وذلك بالثبات على دين الإسلام كما ثبت عليه الصحابة رضوان الله عليهم. (١)

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ). (٢)

تعريف الغربة:

الغربة: هي الانفراد بوصف يخرج العبد عن أبناء جنسه فيكون بينهم غريبا إما بصلاحه بين الفاسدين أو بفساده بين الصالحين والمقصود هنا غربة أهل الصلاح.

وكثير من الأنبياء ومن سار على دربهم عاشوا الغربة في دعوتهم، قال تعالى{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} [إبراهيم: ١٣، ١٤]

وقال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام{ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: ١٢٠] **قَالَ مُجَاهِدٌ**: كَانَ مُؤْمِنًا وَحْدَهُ وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ كُفَّارٌ. (٣)

(١) دروس للشيخ عبد الله الجلالي (٣١/ ١)

(٢) رواه مسلم (١٤٥)

(٣) تفسير البغوي (٥/ ٥٠)

وهذا شعيب عليه السلام يحرص قومه على إخراجه {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ} [الأعراف: ٨٨]

وهذا لوط يتوعده قومه بالطرد من بلاده { قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ } [الشعراء: ١٦٧]

وهذا خاتم الأنبياء ﷺ، تعقد المؤامرات لنفيه أو قتله { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } [الأنفال: ٣٠]

- حقيقة مهمة: الغربة مرحلة، وليست سُنة لا تزول.

بعض المسلمين عندما يسمعون أحاديث الغربة، يتبادر إلى أذهانهم أن هذا الدين قد انحسر بالكلية عن مواقعه، وأنه ضعُف واستكان، ولم يعد له مفعول قوي، وأن عودته للظهور البارز وسرعة الانتشار، بات أمراً بعيد المنال، وهذا الفهم ليس بصحيح ولا سليم، فغربة الدين ما هي إلا مرحلة عارضة، تمر منها الأمة، ولا تستقر فيها ولا تدوم عليها، ثم تعود إلى المرحلة الطبيعية التي هي انتشار هذا الدين بين العالمين، وبلوغُه ما بلغ الليل والنهار.(٤)

**لماذا الغربة؟

حتى يتميز الصف فما من دعوة إلا وينضوي تحت لوائها الصادق والكاذب، والمخلص وغير المخلص، ومن جاء لدنيا ومن يريد الآخرة، لذلك لابد من التمحيص{وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ} [آل عمران: ١٤١]

وقال تعالى{أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: ٢، ٣]

- أنواع الغربة:

أ – غربة الفهم الشامل للإسلام

فالكثير أصبح الإسلام في نظره هي الصلاة والصيام والحج فقط، وبعضهم لقصر نظره للإسلام جعل الدين لا يتعدى أبواب المساجد!. ونسي هؤلاء أن الإسلام منهج يشمل كل صغيرة وكبيرة في حياة الناس، قال تعالى{ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام: ١٦٢]

(٤) مجلة البيان (٢٢١/ ٥)

ب- ومن غربة الدين أن يتنازل عنه البعض لأجل أي متاع حقير.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا)). (٥)

ج- ومن غربة الدين ذهاب الصالحين حتى لا يذكر اسم الله

عَنْ مِرْدَاسٍ الأَسْلَمِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ، الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ، أَوِ التَّمْرِ، لاَ يُبَالِيهِمُ اللَّهُ بَالَةً). (٦)

وعَنْ أَنَس بن مالك ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ، اللهُ)). (٧)

د- ومن غربة الدين أن يُكرم المفسدون ويهان المصلحون.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ)، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: (الرَّجُلُ التَّافِهُ يتكلمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ). (٨)

هـ- ومن غربة الخلق ندرة أهل الأمانة.

عَنْ حُذَيْفَةَ بن اليمان ﷺ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ حَدَّثَنَا: ((أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ)، ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ قَالَ: " يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ - ثُمَّ أَخَذَ حَصًى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ - فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلاً أَمِينًا، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا

---

(٥) رواه مسلم (١١٨)

(٦) رواه البخاري (٦٤٣٤)

(٧) رواه مسلم (١٤٨)

(٨) رواه ابن ماجه (٤٠٣٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٨١)

أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا)). (٩)

**صفات أهل الغربة.

- أنهم صالحون مصلحون لما أفسده غيرهم.

* **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ** رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ) قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ). (١٠)

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَيَرْجِعُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي). (١١)

- أنهم متمسكون بسنة النبي ﷺ

قال ابن القيم رحمه الله: وَمِنْ صِفَاتِ هَؤُلَاءِ الْغُرَبَاءِ الَّذِينَ غَبَطَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: التَّمَسُّكُ بِالسُّنَّةِ، إِذَا رَغِبَ عَنْهَا النَّاسُ، وَتَرْكُ مَا أَحْدَثُوهُ. (١٢)

* **عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ** رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ زَمَانَ صَبْرٍ، لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهِ أَجْرُ خَمْسِينَ شَهِيدًا)، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: (مِنْكُمْ). (١٣)

قال ابن القيم رحمه الله: وَهَذَا الْأَجْرُ الْعَظِيمُ إِنَّمَا هُوَ لِغُرْبَتِهِ بَيْنَ النَّاسِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ بَيْنَ ظُلُمَاتِ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ. (١٤)

---

(٩) رواه البخاري (٦٤٩٧) ومسلم (١٤٣)

(١٠) رواه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن للداني (٣/ ٦٣٣) والآجري في الغرباء (ص: ١٥) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٢٦٧)

(١١) رواه الترمذي (٢٦٣٠) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (ص: ٢٠٨)

(١٢) مدارج السالكين (٣/ ١٨٨)

(١٣) رواه الطبراني في الكبير (١٠٣٩٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٤٤٤)

(١٤) مدارج السالكين (٣/ ١٨٩)

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ). (١٥) **قال أبو بكر بن عياش** رحمه الله: السنة في الإسلام أعز من الإسلام في سائر الأديان. (١٦)

وقال يونس بن عبيد رحمه الله: ليس شيء أغرب من السنة وأغرب منها من يعرفها. (١٧)

- هم قلة مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ.

* عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَنَحْنُ عِنْدَهُ: ((طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، فَقِيلَ: مَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أُنَاسٌ صَالِحُونَ، فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ)). (١٨)

قال الأَوْزَاعِيُّ رحمه الله: أَمَا إِنَّه مَا يَذْهَبُ الإسلامُ، وَلَكِنْ يَذْهَبُ أَهْلُ السُّنَةِ، حَتَّى مَا يَبْقَى فِي الْبَلَدِ مِنْهُم إِلاّ رَجُلٌ وَاحِدٌ. (١٩)

وعن سفيان الثوري رحمه الله قال: استوصوا بأهل السنة فإنهم غرباء. (٢٠)

- هم الجماعة مع قلتهم.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ: الْجَمَاعَةُ)). (٢١)

قَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيُّ رحمه الله: **قال لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ** رضي الله عنه، أَتَدْرِي مَا الْجَمَاعَةُ؟ قُلْت: لَا، قَالَ: إِنَّ جُمْهُورَ الْجَمَاعَةِ هُمْ الَّذِينَ فَارَقُوا الْجَمَاعَةَ، الْجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ الْحَقَّ وَإِنْ كُنْت وَحْدَك.

وَقَالَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ: إِذَا فَسَدَتْ الْجَمَاعَةُ فَعَلَيْك بِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ قَبْلَ أَنْ تَفْسُدَ، وَإِنْ كُنْت وَحْدَك، فَإِنَّك أَنْتَ الْجَمَاعَةُ حِينَئِذٍ. (٢٢)

---

(١٥) رواه الترمذي (٢٢٦٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣٢٦)

(١٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٧٣)

(١٧) كشف الكربة في وصف أهل الغربة (ص: ٣١٩)

(١٨) رواه أحمد (٢/ ١٧٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع(٢/ ٧٢٨)

(١٩) كشف الكربة في وصف أهل الغربة (ص: ٣١٩)

(٢٠) كشف الكربة في وصف أهل الغربة (ص: ٣١٩)

(٢١) رواه ابن ماجه (٣٩٩٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٤٠٩)

- هم الطائفة المنصورة الظاهرة

عن مُعَاوِيَةَ بن أبي سفيان رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ). (٢٣)

****واجبنا في زمن الغربة:**

- الدعوة إلى الله وإحياء سنة رسول الله ﷺ

فالواجب على العلماء وطلبة العلم أن يتحملوا المسئولية تجاه دينهم، وأن يتجردوا لله عز وجل، وأن يقموا بالدعوة إلى الله حقّ القيام، قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت: **٣٣**]

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ لعَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: (فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ). (٢٤)

وعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ). (٢٥)

- الإكثار من الدعاء والتضرع وسؤال الله التثبيت على الصراط المستقيم

قال تعالى{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: ٦، ٧]

قال ابن القيم رحمه الله: فهذا الدعاء يتضمّن بَيَان أَنَّ العَبْد لَا سَبِيل لَهُ إِلَى سعادته إِلَّا باستقامته على الصِّرَاط الْمُسْتَقيم، وَأَنه لَا سَبِيل لَهُ إِلَى الاسْتِقَامَة إِلَّا بهداية ربِّه لَهُ، وكَمَا أنه لَا سَبِيل لَهُ إِلَى عِبَادَته إلا بمعونته، فَلَا سَبِيل لَهُ إِلَى الاسْتِقَامَة على الصِّرَاط إِلَّا بهدايته. (٢٦)

- لزوم طريق الحق ولو كان سالكوه قلة

قال تعالى{قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: ١٠٠]

---

(٢٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ٣٠٨)

(٢٣) رواه مسلم (١٠٣٧)

(٢٤) رواه البخاري (٣٧٠١) ومسلم (٢٤٠٦)

(٢٥) رواه مسلم (١٠١٧)

(٢٦) الفوائد لابن القيم (ص: ١٩)

قال الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: عَلَيْكَ بِطَرِيقِ الْحَقِّ، وَلَا تَسْتَوْحِشْ لِقِلَّةِ السَّالِكِينَ، وَإِيَّاكَ وَطَرِيقَ الْبَاطِلِ، وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْهَالِكِينَ ".

- استحضر بقلبك أنَّ الدنيا ليست لمؤمن وطناً:

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمَّا خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُسْكِنَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أُهْبِطَا مِنْهَا وَوُعِدَا بِالرُّجُوعِ إِلَيْهَا، وَصَالَحُ ذَرِّيَّتِهِمَا، فَالْمُؤْمِنُ أَبَدًا يَحِنُّ إِلَى وَطَنِهِ الْأَوَّلِ، كَمَا قِيلَ:

كَمْ مَنْزِلٍ لِلْمَرْءِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى. . . وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ. (٢٧)

ولذلك قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ) وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: (إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ). (٢٨)

فشبه الإنسان في الدنيا بالمسافر، وكذلك هو على الحقيقة؛ لأن الدنيا دار نقلة وطريق إلى الآخرة. (٢٩)

وكَانَ عَطَاءٌ السُّلَيْمِيُّ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ ارْحَمْ فِي الدُّنْيَا غُرْبَتِي، وَارْحَمْ فِي الْقَبْرِ وَحْشَتِي، وَارْحَمْ مَوْقِفِي غَدًا بَيْنَ يَدَيْكَ. (٣٠)

فالجنة هي الوطن، والأوطار إنما تطلب في الأوطان، أما الدنيا فهي دار غربة منذ أهبط إليها الأبوان.

فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا. . . مَنَازِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ

وَلَكِنَّنَا سَبْيُ الْعَدُوِّ فَهَلْ تَرَى. . . نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنَسْلَمُ. (٣١)

- تذَكَّرْ دائماً أنَّ الدنيا سجن المؤمن:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ). (٣٢)

---

(٢٧) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٧٩)

(٢٨) رواه البخاري (٦٤١٦)

(٢٩) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٩٧)

(٣٠) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٧٩)

(٣١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٧٩)

قال النووي: مَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ مَسْجُونٌ مَمْنُوعٌ فِي الدُّنْيَا مِنَ الشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَةِ وَالْمَكْرُوهَةِ مُكَلَّفٌ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ الشَّاقَّةِ فَإِذَا مَاتَ اسْتَرَاحَ مِنْ هَذَا وَانْقَلَبَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنَ النَّعِيمِ الدَّائِمِ وَالرَّاحَةُ الْخَالِصَةُ مِنَ النُّقْصَانِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّمَا لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا حَصَّلَ فِي الدُّنْيَا مَعَ قِلَّتِهِ وَتَكْدِيرِهِ بِالْمُنَغِّصَاتِ فَإِذَا مَاتَ صَارَ إِلَى الْعَذَابِ الدَّائِمِ وَشَقَاءِ الْأَبَدِ. (٣٣)

- اجعل نصب عينيك دائماً ما أعدَّه الله للصابرين في الجنة:

قال تعالى{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠] وأعظم أنواع الصبر على الإطلاق الصبر على طاعة الله في زمن تمرَّد فيه الكثير من الناس على طاعة ربهم وخالقهم.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ)). (٣٤)

- تذَكَّرْ دائماً ما لاقاه أهل الغربة الأولى من الشدة والعناء:

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ ﷺ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ المُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْنَا: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: (كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، و الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ). (٣٥)

---

(٣٢) رواه مسلم (٢٩٥٦)

(٣٣) شرح النووي على مسلم (١٨/ ٩٣)

(٣٤) رواه مسلم (٢٨٠٧)

(٣٥) رواه البخاري (٣٦١٢)

- لابد من الثقة بموعود الله ورسوله أنَّ المستقبل للإسلام:

قال الله تعالى {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } [التوبة: ٣٢، ٣٣]

قال الشيخ الألباني رحمه الله: تبشرنا هذه الآية الكريمة بأن المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه على الأديان كلها، وقد يظن بعض الناس أن ذلك قد تحقق في عهده صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين، وليس كذلك، فالذي تحقق إنما هو جزء من هذا الوعد الصادق.[٣٦]

عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا)). [٣٧]

وعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلاَ يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلاَمَ، وَذُلاًّ يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ)). [٣٨]

---

(٣٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٣١)

(٣٧) رواه مسلم (٢٨٨٩)

(٣٨) رواه أحمد (٤/ ١٠٣) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة(١/ ٣٢)

واجبنا نحو القرآن

فضل القرآن لماذا نتعلم القرآن واجبنا نحو القرآن

فضل القرآن

١ – **إن القرآن آية الله الكبرى**، والمعجزة الإلهية الخالدة، الدالة على حقّيّة نبوة رسول الله ﷺ، قد تحدّى الله به الإنس والجن، فقال عزّ من قائل: { قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: ٨٨].

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله (صرح في سورة بني إسرائيل بعجز جميع الخلائق عن الإتيان بمثله، فاتضح بطلان دعواهم الكاذبة)(١). بل تحداهم بمثل سورة منه: { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [البقرة: ٢٣].

٢ – أنه كتاب هداية العالم كله إلى الطريق الأقوم، والمرشد لسعادة الدنيا والآخرة:

قال تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } [البقرة: ٢]. وقال عز وجل: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } [الإسراء: ٩].

قال ابن كثير رحمه الله: (يَمْدَحُ تَعَالَى كِتَابَهُ الْعَزِيزَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ الْقُرْآنُ بِأَنَّهُ يَهْدِي لِأَقْوَمِ الطُّرُقِ وَأَوْضَحِ السُّبُلِ، وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ عَلَى مُقْتَضَاهُ، أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً). (٢)

٣ – إن القرآن علاج آفات الأفراد والمجتمعات:

قال تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء: ٨٢].

وقال أيضا: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [فصلت: ٤٤].

---

(١) أضواء البيان (١/ ٤٨٧).

(٢) تفسير ابن كثير ط العلمية (٥/ ٤٥).

قال الشيخ السعدى رحمه الله: (فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خسارًا). (٣)

٤ – القرآن حاكم على الكتب السابقة ومهيمن عليها:

قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ) المائدة(٤٨).

قال الشيخ السعدى رحمه الله: (فهو الكتاب الذي تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه، وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل، وإلا فلو كان من عند الله، لم يخالفه). (٤)

٥ – أنه خير الحديث والكلام قاطبة:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: (خَيْرُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ). (٥)

وهو مأخوذ من القرآن الكريم. قال تعالى {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: ٢٣].

قال الشيخ السعدى رحمه الله: (فأحسن الحديث كلام الله، وأحسن الكتب المنزلة من كلام الله هذا القرآن، وإذا كان هو الأحسن، علم أن ألفاظه أفصح الألفاظ وأوضحها، وأن معانيه، أجل المعاني، لأنه أحسن الحديث في لفظه ومعناه، متشابها في الحسن والائتلاف وعدم الاختلاف، بوجه من

(٣) تفسير السعدي (ص: ٤٦٥).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٢٣٤).

(٥) أخرجه مسلم (٢٠٤٢).

الوجوه. حتى إنه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر، رأى من اتفاقه، حتى في معانيه الغامضة، ما يبهر الناظرين، ويجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم). (٦)

لماذا نتعلم القرآن

قال الله تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة: ١١]. وقوله تعالى: { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ} [آل عمران: ٧٩].

من الأسباب التي تدفعنا لتعلم للقرآن:

١- محبة الله:

عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلاً عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟)، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ). (٧) "

قال ابن دقيق العيد: يحتمل أن يكون سبب محبة الله له محبته لهذه السورة، ويحتمل أن يكون لما دل عليه كلامه لأن محبته لذكر صفات الرب دالة على صحة اعتقاده". (٨)

٢-محبة الناس:

إن قيام المتعلم بتعلم القرآن وحفظه وقراءته تساعد في نشر محبته عند الناس عامة. فعَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: ذُكِرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَقَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (خُذُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - فَبَدَأَ بِهِ -، وَسَالِمٍ، مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ)(٩)

---

(٦) تفسير السعدي (ص: ٧٢٢).

(٧) أخرجه البخاري (٧٣٧٥).

(٨) فتح الباري- تعليق ابن باز (١٣/ ٣٥٧)

(٩) أخرجه البخاري (٣٨٠٨)ومسلم(٢٤٦٤).

٣-أن يكون من خير الأمة وأفضلها:

فعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ(خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ). (١٠)

قال ابن حجررحمه الله: (فالقرآن أشرف العلوم فيكون من تعلمه وعلمه لغيره أشرف ممن تعلم غير القرآن وإن علمه فيثبت المدعي، ولا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي ولهذا كان أفضل). (١١)

٤- نيل الشفاعة بحفظ القرآن:

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ). (١٢)

أشار في الحديث إلى أن القرآن كاملاً يشفع لصاحبه، وفى الجزء الثاني من الحديث أشار إلى أن سورة البقرة وسورة آل عمران تشفعان لصاحبهما. (١٣)

٥-دخول الجنة ورفع الدرجات فيها: فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ

قال: (الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ). (١٤)

قَالَ الْقَاضِي عياض رحمه الله: يَحْتَمِل أَنْ يَكُون مَعْنَى كَوْنه مَعَ الْمَلَائِكَة أَنَّ لَهُ فِي الْآخِرَة مَنَازِل يَكُون فِيهَا رَفِيقًا لِلْمَلَائِكَةِ السَّفَرَة، لِاتِّصَافِهِ بِصِفَتِهِمْ مِنْ حَمْل كِتَاب اللَّه تَعَالَى. (١٥)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: ((يُقَالُ - يَعْنِي لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ -: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا)). (١٦)

---

(١٠) أخرجه البخاري (٤٧٣٩).

(١١) فتح الباري- تعليق ابن باز (٩/ ٧٦).

(١٢) -أخرجه مسلم (١٩١٠).

(١٣) انظر مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية جامعة الكويت ص١٤٠\العدد٩٤.

(١٤) -أخرجه البخارى (٤٦٥٣)\مسلم(٧٩٨)واللفظ له.

(١٥) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٥٢).

(١٦) رواه أحمد (٦٧٩٩) صححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير (٣٢٠١).

قال الخطابي: جاء في الأثر: عددُ آي القرآن على قدر درج الجنة، يقال للقارىء: اقرأ وارتق في الدرج، على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة، ومن قرأ جزءاً منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة.(١٧)

٦-البركة ومنع السحر:

{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا }[الإسراء: ٨٢]. اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي كَوْنِهِ شِفَاءً عَلَى قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ شِفَاءٌ لِلْقُلُوبِ بِزَوَالِ الْجَهْلِ عَنْهَا وَإِزَالَةِ الرَّيْبِ، وَلِكَشْفِ غِطَاءِ الْقَلْبِ مِنْ مَرَضِ الْجَهْلِ لِفَهْمِ الْمُعْجِزَاتِ وَالْأُمُورِ الدَّالَّةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. الثَّانِي: شِفَاءٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ الظَّاهِرَةِ بِالرُّقَى وَالتَّعَوُّذِ وَنَحْوِهِ. (١٨)

وقال رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم: (اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ). (١٩)

٧- القرآن يؤنس صاحبه في الحشر:

وَعَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ لَهُ هَلْ تَعْرِفُنِي فَيَقُولُ مَا أَعْرِفُكَ فَيَقُولُ لَهُ هَلْ تَعْرِفُنِي فَيَقُولُ مَا أَعْرِفُكَ فَيَقُولُ أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوَّمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ بِمَ كُسِينَا هَذِهِ فَيُقَالُ بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجَةِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ هَذًّا كَانَ أَوْ تَرْتِيلاً. (٢٠)

---

(١٧) -انظر معالم السنن لأبي سليمان الخطابي (١/ ٢٥٤).

(١٨) تفسير القرطبي (١٠/ ٣١٦).

(١٩) أخرجه مسلم (١٩١٠).

(٢٠) مسند أحمد (٣٨/ ٤٢). الألباني (٢٨٢٩) الصحيحة.

واجبنا نحو القرآن

١-أول ما ينبغي للمقرئ والقارئ أن يقصدا بذلك رضا الله تعالى:

قال الله تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } [البينة: ٥] أي الملة المستقيمة.

وفي الصحيحين من حديث عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: [إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات، وإِنَمَا لكل امْرِئٍ مَا نَوَى]، وهذا الحديث من أصول الإسلام. (٢١)

٢-وينبغي أن لا يقصد به توصلا إلى غرض من أغراض الدنيا من مال أو رياسة أو وجاهة أو ارتفاع على أقرانه أو ثناء عند الناس أو صرف وجوه الناس إليه أو نحو ذلك (٢٢):

قال تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ } [الشورى: ٢٠].

وقال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} [الإسراء: ١٨، ١٩].

قال قتادة رحمه الله: من كانت الدنيا همه ونيته وطلبته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطىَ بها جزاء وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة. (٢٣)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله - ﷺ: "مَن تعلَّم علماً مما يُبتَغَى به وجهُ الله عزَّ وجلَّ لا يتعلَّمُه إلا ليُصيبَ به عَرَضاً من الدُّنيا لم يَجِدْ عَرْفَ الجنةِ يومَ القيامة" يعني ريحَها. (٢٤)

ومثله أحاديث كثيرة وعن أنس و حذيفة و كعب بن مالك رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: [مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ]. (٢٥)

---

(٢١) التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ١٣).

(٢٢) التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ١٣).

(٢٣) تفسير ابن كثير / دار الفكر (٢/ ٥٣٥).

(٢٤) رواه أبو داود (٣٦٦٤) صححه الألباني (٢٠٤٩).

(٢٥) سنن ابن ماجه(٢٣٥) حسنه الألباني في صحيح ابن ماجة (١/ ٣٢٥).

٣-أن نبذل النصيحة لغيرنا:

فإن (الدين النصيحة) كما ثبت في الحديث الشريف وصح ومن النصيحة لله ولكتابه ولرسوله إكرام قارئ القرآن، وطالب العلم وإرشاده إلى مصلحته، وأن يحرضه على الطلب، ويذكر له فضيلة ذلك، ليكون سببا في نشاطه. (٢٦)

٤-التدبر والخشوع:

إن التّدبّر وهو التفهم وكذا الخشوع هما المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم، وبذلك تنشرح الصدور وتستنير القلوب، والآيات والأحاديث في ذلك أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر. قال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩)} [ص: ٢٩]. (٢٧)

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: وَاللَّهِ مَا تَدَبُّرُهُ بِحِفْظِ حُرُوفِهِ وَإِضَاعَةِ حُدُودِهِ حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ مَا يُرَى لَهُ الْقُرْآنُ فِي خُلُقٍ وَلَا عَمَلٍ. (٢٨)

قال تعالى {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا } [النساء: ٨٢].

قال القرطبي رحمه الله(فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقُرْآنَ وَأَمَرَهُمْ بِتَدَبُّرِهِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ فِيهِ اخْتِلَافًا فِي وَصْفٍ وَلَا رَدًّا لَهُ فِي مَعْنًى، وَلَا تَنَاقُضًا وَلَا كَذِبًا. (٢٩)

قال تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٤]. أي: قد أغلق على ما فيها من الشر وأقفلت، فلا يدخلها خير أبداً. (٣٠)

٥-إن من حقوق هذا الكتاب الاستمساك به كما أمر الله تعالى بذلك نبيه، فقال تعالى: فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [الزخرف: ٤٣]. والاستمساك به يكون باتباعه، بإحلال حلاله وتحريم حرامه والاقتداء به والتحاكم إليه وعدم الكفر بشيء منه، كما قال تعالى: {كِتَابٌ أُنْزِلَ

(٢٦) التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ١٣).

(٢٧) -علوم القرآن الكريم-نور الدين عتر ص(٢٧٧).

(٢٨) تفسير ابن كثير ط العلمية (٧/ ٥٤).

(٢٩) تفسير القرطبي (٥/ ٢٩٠).

(٣٠) تفسير السعدي (ص: ٧٨٨).

إِلَيْكَ فَلاَ يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ } [الأعراف: ٢، ٣]. (٣١)

٦-ومن الحقوق لهذا الكتاب الكريم تعليمه لأجيال الأمة، لأولادنا وبناتنا وتحفيظهم إياه، فهذا الكتاب ضمن الله حفظه بقوله جل شأنه: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: ٩]، وإنما يحفظ القرآن بحفظ الأمة وتعاهدهم له، فكان لزامًا علينا تعلمه وتعليمه لأبنائنا جيلاً بعد جيل، فهو نبراس حياتنا وسبيل عزنا ومناط سعادتنا.

٧-تكريم أهل القرآن وإجلالهم

عن أبي موسى الأشعري ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: (إن من إجلالِ الله إكرامَ ذي الشيبَةِ المسلمِ، وحاملِ القُرآنِ غيرِ الغالي فيه والجافي عنه، وإكرَامَ ذي السُّلطَانِ المُقْسِطِ). (٣٢)

وبالجملة من أراد الخير كله ففي التمسك والعمل بالقرآن، **ومن أراد الشر** كله فبالإعراض عنه، قال تعالى(فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥)قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧)} [طه]. (٣٣)

والحمد لله رب العالمين

(٣١) موسوعة الخطب المنبرية ص(٣٨١٤)للشيخ خالد المصلح.

(٣٢) سنن أبي داود(٤٨٤٣)حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٨).

(٣٣) موسوعة الخطب المنبرية ص(٢٢٠٩)للشيخ عبدالرحمن بن عثمان الغامدى.

فن الوعظ

إن الوعظ والإرشاد وسيلة مهمة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، لا يُستغنى عنها بحال ولا يجوز التهوين من تأثيرها على الكثير من الناس، ولاسيما إذا قام بها داعية ذو قلب حي، وعقل نيِّر، فإن الله يهدي به الألوف من الناس. . وقد كان الإرشاد والوعظ جزءًا من مهمة الأنبياء والمرسلين، الذين بعثهم الله مبشرين ومنذرين، وتأتي أهمية الوعظ والإرشاد في أن الناس تصيبهم غفلة ونسيان، فينغمسون في الدنيا وينسون الآخرة والعمل لها. . وهنا تأتي مهمة الواعظ في أن ينبه الناس، ويوقظهم من غفلتهم، ويربطهم بربهم من جديد.

ونعرض في هذ الأسطر لبعض المسائل المتعلقة بالواعظ والواعظين.

أساليب الوعظ:

لا تظن أن الوعظ لا يكون إلا بخطب رنانة، أو كلام مطوّل يُجمع له الناس، ويتهيئون له، ثم تُطَأطأ الرؤوس ويبدأ الواعظ بسرد موعظته! فكل هذا غير لازم، فقد كان – صلى الله عليه وسلم – يعظ أصحابه بالخطبة، وقد يعظهم بما يناسب الحال، فيذكرهم بحقارة الدنيا حين يرى جَدْياً أَسَكّ، ويذكرهم بنعيم الجنة حين يعجب أصحابه من حلة حرير، ويذكرهم برحمة الله حين يرى امرأة تبحث عن صبيّها في السبي، ثم تضمه وترضعه، وهكذا. . . فقد تكون الموعظة قصة تُسرد، أو مثلاً يُضرب، أو جملة تقال، أو فعلاً يحتذى به، بدون تكلف أو تقعر.

طرق الوعظ العام:

١- الخطابة: وهي أشد طرق الوعظ أثرًا في النفوس إذا كانت صادرة من قلوب مخلصة، طاهرة طيبة، كان لصاحبها من طلاقة اللسان ما يحسن التعبير عما يكنّه الفؤاد.

٢- الدرس: الغالب في الدرس أن يكون شرحًا لآية من القرآن، أو لحديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم، أو بيانًا لمسألة أو مسائل من الفقه، كما أنَّ الغالب في الدرس أن يحضره عدد قليل من الناس جاءوا قاصدين سماع الدرس، مما يعطي فرصة طيبة للداعي أن يتعرَّف عليهم عن كثب، ويوثق علاقته بهم، ويشترط للداعي في درسه أن يحضِّر مادته مسبَّقًا تحضيرًا جيدًا، وأن لا يستطرد كثيرًا وهو يلقي موضوعه؛ لأنَّ الاستطراد يبعد السامع عن أصل الموضوع.[١]

(١) أصول الدعوة (ص: ٤٧٦)

٣- الكتابة: المقصود بالكتابة في مجال الوعظ والإرشاد هي الكتابة الخطابية، والتي ينبغي أن تكتب بأسلوبٍ بسيط مفهوم واضح يدركه أقل النَّاس قدرة على فهم الخطاب.[٢]

فوائد الوعظ:

(١) زجر العاصي والفاجر.

(٢) تذكير الغافل.

(٣) تجديد الإيمان وتحريكه في النفوس.

(٤) تثبيت المهتدي بالله.

(٥) تعريف الخلق بالخالق.

(٦) تبصير الناس بشرائع الإسلام وحدوده. [٣]

من آداب الواعظ

وهناك آداب ينبغي للواعظ أن يتحلى بها:

(١) أن يكون مخلصا في موعظته.

(٢) أن يكون عالما بما يعظ به. مر علي رضي الله عنه بقاص فقال أتعرف الناسخ والمنسوخ قال لا قال هلكت وأهلكت.

(٣) أن يكون رفيقا في موعظته.

(٤) أن يصبر على أذى الناس.

(٥) أن يكون عاملا بما يأمر الناس وينهاهم به.

(٦) أن يكون فصيح اللسان لا يلحن في موعظته.

(٧) أن يكون متبعا للسنة معظما لأثار السلف.

(٨) أن يكون ورعا في مسائل الحلال والحرام وقافا عند حدود الله[٤]

---

(٢) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان (ص: ٤٨٢)

(٣) انظر: فقه الوعظ، خالد سعود البليهد

(٤)انظر: فقه الوعظ، خالد سعود البليهد

تقنيات الواعظ الناجح

- التخطيط المحكم للدرس قبل تقديمه.
- خطاب الناس على قدر عقولهم.
- استعمال لغة المبلغ لهم في الشرح والبيان.
- توزيع النظر على الحاضرين.
- تغيير نبرات الصوت ونغماته حسب المعنى.
- الانفعال مع الموضوع ومعايشته.
- استعمال الوسائل الحديثة في الإلقاء، وإن لم يتيسر عوض عنه بضرب الأمثلة وذكر القصص وسير الصالحين. .
- الالتزام بالموضوع وعدم اللجوء إلى التوسع والإطناب الكبيرين المؤديين إلى الملل وعدم الاستفادة. (٥)

ضوابط الوعظ:

أولاً: الاعتماد على الكتاب والسنة:

الواعظ حين يحث الناس على أمر ويُحذّرهم من آخر ينبغي أن يبين لهم الدليل، ولا يجعل حديثه مجرد أوامر ونواهٍ مجردة عن الدليل

ثانياً: في الصحيح غنية عن الضعيف:

وعند اعتماد الواعظ الكتاب والسنة، فإنه سيجد في تفسير القرآن كثيراً من الروايات الضعيفة، والإسرائيليات الموضوعة، وسيجد في كتب الحديث كثيراً من الأحاديث التي لا تثبت، وحينئذ: فإن عليه الحيطة والحذر بمراجعة كلام أهل العلم فيها، وهذا التحري دليل على صدق الواعظ؛ ففي حديث مسلم: (كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع). (٦)

ثالثاً: تعهد الناس بالموعظة:

النفس تمل وتسأم فيضعف أثر التذكير فيها؛ وربما كرهته فلم يُنتفع به حينئذ

---

(٥) انظر: دليل الواعظ الناجح

(٦) أخرجه مسلم برقم (٥)

رابعاً: الحذر من المبالغة، والتهويل، وتقنيط الناس:

اجتهاداً في محبة الخير للناس والخوف عليهم يقوم الواعظ أحياناً بتضخيم جزاء السيئة، وعقوبة المعصية، فيزيد على الوارد فيها أحياناً، ويهول ويعظم أخرى، حتى يخيل لسامعه أن عذاب الله نازل به لا محالة، وأنه لا توبة له، وأن عمله الصالح لن ينفعه، وأنه لا حيلة له!.

وقد يحدث العكس أحياناً عند بعض الوعاظ، فيُهَوّنون من المعصية ويقللون من شأنها! والمنهج الشرعي الوسط: الموازنة بين الترغيب والترهيب، والخوف والرجاء، قال تعالى: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)} [الحجر: ٤٩، ٥٠]

خامساً: البلاغة بلا تكلف:

قال ابن رجب: "والبلاغة في الموعظة مستحبة؛ لأنها أقرب إلى القلوب واستجلابها، والبلاغة: هي التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة، وإيصالها إلى قلوب السامعين بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها، وأفصحها وأحلاها للأسماع، وأوقعها في القلوب، وكان - صلى الله عليه وسلم - يقصر خطبتها، ولا يطيلها، بل كان يبلغ ويوجز "(٧)

سادساً: استغلال المناسبات والأحداث:

كان ﷺ يستغل المناسبة أو الحدث ولو كان يسيراً قد لا يوقف عنده، ولا يؤبه به وينطلق من خلاله مربياً واعظاً، والشواهد كثيرة، منها: قوله يوم النحر: ((أي شهر هذا؟. . . فأي بلد هذا؟. . . فأي يوم هذا؟. .)). ثم قال: ((فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام؛ كحرمة يومكم هذا؛ في بلدكم هذا، في شهركم هذا. . .). (٨)

سابعا: الوعظ في موضعه الصحيح:

ركز بعض الناس على التربية بالوعظ تركيزاً شديداً، وظنّ أنّ الوعظ هو الوسيلة الوحيدة للبناء والتربية، والصحيح أن الوعظ باب مهم من أبواب التربية، ولكنه ليس الباب الوحيد، فأبواب الدين كثيرة ولله الحمد، كالعلم والتعليم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،. . ونحوها، وهذه الأبواب

(٧) جامع العلوم والحكم، (٢/ ١١١)

(٨) أخرجه مسلم، (٦٧٩).

تكوّن بمجموعها وحدة واحدة متآلفة، ويجب إعطاء كل باب حقه الشرعي، في وقته الشرعي دون إفراط أو تفريط. (٩)

منهج السلف في الوعظ

- اقتصر السلف رحمهم الله في مواعظهم على ما يبلغ المعنى ويفي بالغرض، ولذا جاءت مواعظهم خالية من كل تكلف وتشدق وسجع وإطناب، مهتمين بالمضمون، ومتخولين بالموعظة خشية الإملال، فلم يعيبوا أحداً، ولم يشهروا بمذنب قط.

- أخرج كثير من قصاص العصر الحاضر الوعظ عن مقصوده الشرعي، وتنكبوا منهج سلفهم، فعجت مجالسهم بالمنكرات الفعلية وبالتشبه بالكفرة، مع انحراف في العقيدة، ونشر للفتنة، وترويج للخنا، واستحداث طرق بدعية في الوعظ والتذكير، حيث نشأ التمثيل، ومن قبله النشيد، وغدا هؤلاء المرجفون هم الأعلام المبرزون في مجال الوعظ، وعظمت فتنة الناس بهم.

- إن بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة، قد حادت عن منهج السلف في الوعظ، ويرجع مجمل انحرافها إلى إهمال الدعوة إلى التوحيد، بل والدعوة إلى الشرك إحياناً، مع ابتداع وسائل ما أنزل الله بها من سلطان لوعظ الناس وتذكيرهم؛ كالأناشيد والتمثيل، والخروج، والسياحة، وغيرها.

كما انحرف مضمون الوعظ عند بعض الجماعات وذلك بالدعوة إلى الاعتزال وهجر المجتمعات وتكفيرها، بل شمل الانحراف المقاصد أيضاً حينما جعلت بعض هذه الجماعات من الموعظة أداة للدعوة الحزبية، والمذهبية.

- إن الأصل في وسائل الوعظ هو التوقيف، فلا يجوز استحداث أي وسيلة دعوية لوعظ الناس مهما توهم نفعها، أو اغتر ببريقها. (١٠)

---

(٩) انظر: فن الوعظ أهميته وضوابطه، عبد الحكيم بن محمد بلال

(١٠) انظر: منهج السلف في الوعظ، سليمان العربي بن صفية

أخطاء شائعة في الوعظ:

- الإطالة في الوعظ لغير داع أو ضرورة، فإن السنة التقصير إلا لشيء عارض.
- الاعتماد على الأحاديث المنكرة والأخبار الواهية.
- التوسع في القصص الغريبة والمبالغة في ذكرها.
- النزول في الأسلوب والإكثار من كلام العامة.
- المبالغة في ضرب المثال التافهة.
- تضحيك الناس والتهريج عليهم والاستخفاف بعقولهم.
- تجريح السامعين والتهجم عليهم.
- توصيف المنكرات والتوسع في ذكر الفواحش وطرقها.
- التحدث بلغة عاليه وخطاب فكرى في قضايا لاتناسب مدارك الحضور وثقافتهم.[١١]

(١١) انظر: فقه الوعظ، خالد سعود البليهد

من أعلام الدعوة

العقد الفريد في ترجمة الحسن البصري أبي سعيد

مع أحد العلماء العاملين، والأئمة التابعين، الإمام الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء، تشرب بالعلم حتى نطق بالحكمة، وصفه أبو نعيم فقال: ومنهم حليف الخوف والحزن، أليف الهم والشجن، عديم النوم والوسن، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن، الفقيه الزاهد، المشمر العابد، كان لفضول الدنيا وزينتها نابذاً، وشهوة النفس ونخوتها تاركاً.

ووصفه الزهري فقال: مناقبه كثيرة، ومحاسنه غزيرة، كان رأساً في العلم والحديث إماماً مجتهداً كثير الاطلاع، رأساً في القرآن وتفسيره، رأساً في الوعظ والتذكير، رأساً في الحلم والعبادة، رأساً في الزهد والصدق، رأساً في الفصاحة والبلاغة، رأساً في الأيد والشجاعة.

كان رجلاً مليحاً تام الشكل حسن الصورة، طال عمره في العلم والعمل.

اسمه وكنيته ومولده ونسبه

الحَسَنُ البَصْرِيُّ أَبُو سَعِيْدٍ هُوَ: الحَسَنُ بنُ أَبِي الحَسَنِ يَسَارٍ، أَبُو سَعِيْدٍ، مَوْلَى زَيْدِ بنِ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيُّ.

وَيُقَالُ: مَوْلَى أَبِي اليَسَرِ كَعْبِ بنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ، وَكَانَتْ أُمُّ الحَسَنِ مَوْلاَةً لأُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ المُؤْمِنِيْنَ المَخْزُوْمِيَّةِ.

وَيَسَارٌ أَبُوْهُ: مِنْ سَبْيِ مَيْسَانَ، سَكَنَ المَدِيْنَةَ، وَأُعْتِقَ، وَتَزَوَّجَ بِهَا فِي خِلاَفَةِ عُمَرَ، فَوُلِدَ لَهُ بِهَا الحَسَنُ رَحِمَهُ اللهُ لِسَنَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ خِلاَفَةِ عُمَرَ، وَاسْمُ أُمِّهِ: خَيْرَةُ، وكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ تَبْعَثُ أُمَّ الحَسَنِ فِي الحَاجَةِ، فَيَبْكِي وَهُوَ طِفْلٌ، فَتُسْكِتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِثَدْيِهَا، وَرُوِيَ أَنَّ ثَدْيَ أُمِّ سَلَمَةَ دَرَّ عَلَيْهِ، وَرَضِعَهَا غَيْرَ مَرَّةٍ. (١)

زهده وورعه وعبادته وكثرة بكائه وحزنه وخوفه وتجافيه عن الدنيا

قال علقمة بن مرثد: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، فمنهم الحسن، ولقد شهد له أهل البصرة بذلك.

قَالَ السَّرِيُّ بنُ يَحْيَى: كَانَ الحَسَنُ يَصُوْمُ: البِيْضَ، وَأَشْهُرَ الحُرُمِ، وَالاثْنَيْنَ، وَالخَمِيْسَ.

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣: ٥٦٥).

قال حكيم بن جعفر: قال لي مسمع: لو رأيت الحسن لقلت قد بث عليه حزن الخلائق، من طول تلك الدمعة وكثرة ذلك النشيج.

قال محمد بن سعد: قال يزيد بن حوشب: ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز، كأن النار لم تخلق إلا لهما.

وعن حفص بن عمر قال: بكى الحسن فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أخاف أن يطرحني غداً في النار ولا يبالي.

يقول الحسن: أَهِيْنُوا الدُّنْيَا، فَوَاللهِ لأَهْنَأُ مَا تَكُوْنُ إِذَا أَهَنْتَهَا.

وعن حميد قال: بينما الحسن في المسجد تنفس تنفساً شديداً ثم بكى حتى أرعدت منكباه ثم قال: لو أن بالقلوب حياة، لو أن بالقلوب صلاحاً لأبكتكم من ليلة صبيحتها يوم القيامة، إن ليلة تمخض عن صبيحة يوم القيامة ما سمع الخلائق بيوم قط أكثر من عورة بادية ولا عين باكية من يوم القيامة.

وعَنْ عِمْرَانَ القَصِيْرِ، قَالَ: سَأَلْتُ الحَسَن عَنْ شَيْءٍ، فَقُلْتُ: إِنَّ الفُقَهَاءَ يَقُوْلُوْنَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: وَهَلْ رَأَيْتَ فَقِيْهاً بِعَيْنِكَ! إِنَّمَا الفَقِيْهُ: الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا، البَصِيْرُ بِدِيْنِهِ، المُدَاوِمُ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ.

وقال هِشَامُ بنُ حَسَّانٍ: سَمِعْتُ الحَسَنَ يَحْلِفُ بِاللهِ: مَا أَعَزَّ أَحَدٌ الدِّرْهَمَ إِلاَّ أَذَلَّهُ اللهُ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: لَا تَخْرُجُ نَفْسُ ابْنِ آدَمَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بِحَسَرَاتٍ ثَلَاثٍ: أَنَّهُ لَمْ يَشْبَعْ مِمَّا جَمَعَ، وَلَمْ يُدْرِكْ مَا أَمِلَ، وَلَمْ يُحْسِنِ الزَّادَ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ.

يقول الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: نَضْحَكُ وَلاَ نَدْرِي لَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى بَعْضِ أَعْمَالِنَا، وَقَالَ: لاَ أَقْبَلُ مِنْكُم شَيْئاً، وَيَحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ لَكَ بِمُحَارِبَةِ اللهِ وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ أَقْوَاماً كَانَتِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَى أَحَدِهِمْ مِنَ التُّرَابِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَقْوَاماً يُمْسِي أَحَدُهُمْ وَلاَ يَجِدُ عِنْدَهُ إِلاَّ قُوْتاً، فَيَقُوْلُ: لاَ أَجْعَلُ هَذَا كُلَّهُ فِي بَطْنِي، فَيَتَصَدَّقُ بِبَعْضِهِ، وَلَعَلَّهُ أَجْوَعُ إِلَيْهِ مِمَّنْ يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْهِ.

ثناء العلماء والأقران عليه

قَالَ مُعْتَمِرُ بنُ سُلَيْمَانَ: كَانَ أَبِي يَقُوْلُ: الحَسَنُ شَيْخُ أَهْلِ البَصْرَةِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ سَعْدٍ: كَانَ الحَسَنُ رَحِمَهُ اللهُ جَامِعاً، عَالِماً، رَفِيْعاً، فَقِيْهاً، ثِقَةً، حُجَّةً، مَأْمُوْناً، عَابِداً، نَاسِكاً، كَثِيْرَ العِلْمِ، فَصِيْحاً، جَمِيْلاً، وَسِيْماً.

وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَشْبَهَ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْهُ.

وَقَالَ مَطَرٌ الوَرَّاقُ: لَمَّا ظَهَرَ الحَسَنُ، جَاءَ كَأَنَّمَا كَانَ فِي الآخِرَةِ، فَهُوَ يُخْبِرُ عَمَّا عَايَنَ.

قَالَ أَيُّوْبُ السِّخْتِيَانِيُّ: كَانَ الرَّجُلُ يَجْلِسُ إِلَى الحَسَنِ ثَلاَثَ حِجَجٍ مَا يَسْأَلُهُ عَنِ المَسْأَلَةِ هَيْبَةً لَهُ.

وَقَالَ مُعَاذُ بنُ مُعَاذٍ: قُلْتُ لِلأَشْعَثِ: قَدْ لَقِيْتَ عَطَاءً وَعِنْدَكَ مَسَائِلُ، أَفَلاَ سَأَلْتَهُ؟ قَالَ: مَا لَقِيْتُ أَحَداً بَعْدَ الحَسَنِ إِلاَّ صَغُرَ فِي عَيْنِي.

قال قَتَادَةُ: كان يُقَالُ: مَا خَلَتِ الأَرْضُ قَطُّ مِنْ سَبْعَةِ رَهْطٍ، بِهِم يُسْقَوْنَ، وَبِهِم يُدْفَعُ عَنْهُم، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُوْنَ الحَسَنُ أَحَدَ السَّبْعَةِ.

وَعَنْ عَلِيِّ بنِ يَزِيْدَ، قَالَ: سَمِعْتُ مِنِ ابْنِ المُسَيِّبِ، وَعُرْوَةَ، وَالقَاسِمِ، وَغَيْرِهِم: يقولون مَا رَأَيْنا مِثْلَ الحَسَنِ، وَلَوْ أَدْرَكَ الصَّحَابَةَ وَلَهُ مِثْلُ أَسْنَانِهِم، مَا تَقَدَّمُوْهُ.

وَقَالَ يُوْنُسُ بنُ عُبَيْدٍ: أَمَّا أَنَا، فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَحَداً أَقْرَبَ قَوْلاً مِنْ فِعْلٍ مِنَ الحَسَنِ.

يَقُوْلُ أَيُّوْب: كَانَ الحَسَنُ يَتَكَلَّمُ بِكَلاَمٍ كَأَنَّهُ الدُّرُّ، فَتَكَلَّمَ قَوْمٌ بَعْدِهِ بِكَلاَمٍ يَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِم كَأَنَّهُ القَيْءُ.

وعَنْ بَكْرِ بنِ عَبْدِ اللهِ المُزَنِيِّ، قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَفْقَهِ مَنْ رَأَيْنَا، فَلْيَنْظُرْ إِلَى الحَسَنِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ الحَسَنُ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالحَلاَلِ وَالحَرَامِ.

وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بنُ العَلاَءِ: مَا رَأَيْتُ أَفْصَحَ مِنَ الحَسَنِ، وَالحَجَّاجِ.

وَعَنِ الأَعْمَشِ، قَالَ: مَا زَالَ الحَسَنُ يَعِي الحِكْمَةَ حَتَّى نَطَقَ بِهَا، وَكَانَ إِذَا ذُكِرَ الحَسَنُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ البَاقِرِ، قَالَ: ذَاكَ الَّذِي يُشْبِهُ كَلاَمُهُ كَلاَمَ الأَنْبِيَاءِ.

من درر كلام الحسن البصري

ويقول الحسن: مَا حُلِّيَتِ الجَنَّةُ لأُمَّةٍ مَا حُلِّيَتْ لِهَذِهِ الأُمَّةِ، ثُمَّ لاَ تَرَى لَهَا عَاشِقاً.

وعَنِ الحَسَنِ، قَالَ: ابْنَ آدَمَ، إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ، كُلَّمَا ذَهَبَ يَوْمٌ، ذَهَبَ بَعْضُكَ.

يَقُوْلُ الحَسَنُ: فَضَحَ المَوْتُ الدُّنْيَا، فَلَمْ يَتْرُكْ فِيْهَا لِذِي لُبٍّ فَرَحاً.

يقول مبارك بن فضالة: سمعت الحسن وقال له شاب: أعياني قيام الليل. فقال له: قيدتك خطاياك.

وَقَالَ الْحَسَنُ: إِذَا رَأَيْتَ فِي ولَدِكِ مَا تَكْرَهُ فَاعْتَبِ اللَّهَ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يُرَادُ بِهِ أَنْتَ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: مِسْكِينٌ ابْنُ آدَمَ، رَضِيَ بِدَارٍ حَلاَلُهَا حِسَابٌ، وَحَرَامُهَا عَذَابٌ، إِنْ أَخَذَهَا مِنْ حِلٍّ حُوسِبَ بِنَعِيمِهِ، وَإِنْ أَخَذَهَا مِنْ حَرَامٍ عُذِّبَ بِهِ.

قَالَ الْحَسَنُ: الْفِكْرَةُ مِرْآةٌ تُرِيكَ حَسَنَاتِكَ وَسَيِّئَاتِكَ، وَقَالَ: مَا يَسُرُّنِي مَوَدَّةُ أَلْفِ رَجُلٍ بِعَدَاوَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: يَا ابْنَ آدَمَ فَعِظْ نَفْسَكَ فَإِنْ هِيَ قَبِلَتْ فَعِظِ النَّاسَ، وَإِلَّا فَاسْتَحِ مِنْ رَبِّكَ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: يَا عَجَبًا لِقَوْمٍ أُمِرُوا بِالزَّادِ وَنُودُوا بِالرَّحِيلِ وَحُبِسَ أَوَّلُهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ وَهُمْ قُعُودٌ يَلْعَبُونَ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: كَانُوا يَقُولُونَ: لِسَانُ الْحَكِيمِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ رَجَعَ إِلَى قَلْبِهِ، فَإِنْ كَانَ لَهُ قَالَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَمْسَكَ، وَكَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ قَلْبَ الْجَاهِلِ فِي طَرَفِ لِسَانِهِ لَا يَرْجِعُ إِلَى قَلْبِهِ، مَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ تَكَلَّمَ بِهِ.

قَالَ الْحَسَنُ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ: أَنْ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ يَحْفَظُوا عَنِّي حَرْفَيْنِ: "أَنْ يَرْضَوْا بِدَنِيِّ الدُّنْيَا لِسَلاَمَةِ دِينِهِمْ، كَمَا أَنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا رَاضُونَ بِدَنِيِّ الدِّينِ لِسَلاَمَةِ دُنْيَاهُمْ".

وَقَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الروم: ٧]، قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْقُرُ الدِّرْهَمَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيُخْبِرُكَ بِوَزْنِهِ وَمَا يُحْسِنُ يُصَلِّي.

وقَالَ: عِظِ النَّاسَ بِفِعْلِكَ وَلَا تَعِظْهُمْ بِقَوْلِكَ، وَقَالَ: إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُنَافِسُ فِي الدُّنْيَا فَنَافِسْهُ فِي الْآخِرَةِ.

وَعَنْ عَطَاءٍ الْأَزْرَقِ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ: يَا أَبَا سَعِيدٍ كَيْفَ أَنْتَ؟ كَيْفَ حَالُكَ؟ قَالَ: بِأَشَدِّ حَالٍ، وَمَا حَالُ مَنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى يَنْتَظِرُ الْمَوْتَ لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِهِ. (٢)

وَقَالَ الْحَسَنُ: لَوْ أَنَّ النَّاسَ إِذَا ابْتُلُوا مِنْ سُلْطَانِهِمْ بِشَيْءٍ فَزِعُوا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ يَرْفَعَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلَكِنْ فَزِعُوا إِلَى السَّيْفِ، فَوَاللَّهِ مَا جَاءُوا بِيَوْمِ خَيْرٍ قَطُّ ثُمَّ تَلاَ: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا} [الأعراف: ١٣٧].

وَقَالَ: إِيَّاكُمْ وَمَا يَشْغَلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ لَا يَفْتَحُ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ بَابًا مِنَ الدُّنْيَا، إِلَّا سَدَّ عَلَيْهِ عَشَرَةَ أَبْوَابٍ مِنْ عَمَلِ الْآخِرَةِ.

وعَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ جَمَعَ إِحْسَانًا وَشَفَقَةً، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْنًا، وَتَلاَ {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ} [المؤمنون: ٥٧]، وقَالَ الْمُنَافِقُ: {أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي}[القصص: ٧٨].

وَقَالَ الْحَسَنُ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا لَوْ شَاءَ أَحَدُهُمْ أَنْ يَأْخُذَ هَذَا الْمَالَ مِنْ حِلِّهِ أَخَذَهُ، يُقَالَ لَهُمْ: أَلَا تَأْتُونَ نَصِيبَكُمْ مِنْ هَذَا الْمَالِ فَتَأْخُذُونَهُ حَلاَلًا؟ فَيَقُولُونَ: لَا، نَخْشَى أَنْ يَكُونَ أَخْذُهُ فَسَادًا لِقُلُوبِنَا.

وَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ مُحَادِشٍ: يَا أَبَا سَعِيدٍ إِنَّا نُجَالِسُ أَقْوَامًا يُحَدِّثُونَا أَحَادِيثَ تَكَادُ تَطِيرُ عُقُولُنَا مِنْهَا، فَقَالَ الْحَسَنُ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّكَ إِنْ تُجَالِسْ أَقْوَامًا يُخَوِّفُونَكَ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُجَالِسَ أَقْوَامًا يُؤَمِّنُونَكَ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ خَائِفًا.

وقيل للحسن: إن فلاناً اغتابك، فبعث إليه طبق حلوى وقال: بلغني أنك أهديت إلي حسناتك فكافأتك.

وعن الحسن البصري أنه قال: إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة، رجاء الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة. يقول أحدهم: إني لحسن الظن بالله وأرجو رحمة الله، وكذب، ولو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة.

(٢) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: ٧٢٩).

مواعظ له قبل الموت

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ دِينَارٍ كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يُغْمَى عَلَيْهِ ثُمَّ يَفِيقُ وَيَقُولُ صَبْرًا وَاحْتِسَابًا وَتَسْلِيمًا لأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى قُبِضَ رَحِمَهُ اللَّهُ. (٣)

قَالَ يُوْنُسُ: لَمَّا حَضَرَتِ الحَسَنَ الوَفَاةُ، جَعَلَ يَسْتَرْجِعُ، فَقَامَ إِلَيْهِ ابْنُهُ، فَقَالَ: يَا أَبَتِ، قَدْ غَمَمْتَنَا، فَهَلْ رَأَيْتَ شَيْئاً؟ قَالَ: هِيَ نَفْسِي، لَمْ أُصَبْ بِمِثْلِهَا.

وأغمي على الحسن عند موته، ثم أفاق فقال: لقد نبهتموني من جنات وعيون ومقام كريم.

وفاة الحسن البصري

قَالَ ابْنُ عُلَيَّةَ: مَاتَ الحَسَنُ فِي رَجَبٍ، سَنَةَ عَشْرٍ وَمائَةٍ، وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ الحَسَنِ: إِنَّ أَبَاهُ عَاشَ نَحْواً مِنْ ثَمَانٍ وَثَمَانِيْنَ سَنَةً.

قُلْتُ -أي الذهبي-: مَاتَ فِي أَوَّلِ رَجَبٍ، وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ مَشْهُوْدَةً، صَلَّوْا عَلَيْهِ عَقِيْبَ الجُمُعَةِ بِالبَصْرَةِ، فَشَيَّعَهُ الخَلْقُ، وَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ، حَتَّى إِنَّ صَلاَةَ العَصْرِ لَمْ تُقَمْ فِي الجَامِعِ.

(٣) الثبات عند الممات لابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) (ص: ١٣٥).

براعة واستهلال للمواعظ والخطب

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَقَيُّومُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ وَمَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ الَّذِي لَا فَوْزَ إِلَّا فِي طَاعَتِهِ، وَلَا عِزَّ إِلَّا فِي التَّذَلُّلِ لِعَظَمَتِهِ، وَلَا غِنَى إِلَّا فِي الِافْتِقَارِ إِلَى رَحْمَتِهِ، وَلَا هُدًى إِلَّا فِي الِاسْتِهْدَاءِ بِنُورِهِ، وَلَا حَيَاةَ إِلَّا فِي رِضَاهُ، وَلَا نَعِيمَ إِلَّا فِي قُرْبِهِ، وَلَا صَلَاحَ لِلْقَلْبِ وَلَا فَلَاحَ إِلَّا فِي الْإِخْلَاصِ لَهُ وَتَوْحِيدِ حُبِّهِ.

شَهِدَتْ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ جَمِيعُ مَخْلُوقَاتِهِ، وَأَقَرَّتْ لَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ جَمِيعُ مَصْنُوعَاتِهِ، وَشَهِدَتْ بِأَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بِمَا أَوْدَعَهَا مِنْ عَجَائِبِ صَنْعَتِهِ، وَبَدَائِعِ آيَاتِهِ،

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَلِمَةٌ قَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَخُلِقَتْ لِأَجْلِهَا جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَبِهَا أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ، وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتِ الْمَوَازِينُ، وَوُضِعَتِ الدَّوَاوِينُ، وَقَامَ سُوقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَبِهَا انْقَسَمَتِ الْخَلِيقَةُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ وَالْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، فَهِيَ مَنْشَأُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَهِيَ الْحَقُّ الَّذِي خُلِقَتْ لَهُ الْخَلِيقَةُ، وَعَنْهَا وَعَنْ حُقُوقِهَا السُّؤَالُ وَالْحِسَابُ، وَعَلَيْهَا يَقَعُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَعَلَيْهَا نُصِبَتِ الْقِبْلَةُ، وَعَلَيْهَا أُسِّسَتِ الْمِلَّةُ، وَلِأَجْلِهَا جُرِّدَتْ سُيُوفُ الْجِهَادِ، وَهِيَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ، فَهِيَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ، وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّلَامِ، وَعَنْهَا يُسْأَلُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ،

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ، وَخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَسَفِيرُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، الْمَبْعُوثُ بِالدِّينِ الْقَوِيمِ وَالْمَنْهَجِ الْمُسْتَقِيمِ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَإِمَامًا لِلْمُتَّقِينَ، وَحُجَّةً عَلَى الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ. أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ فَهَدَى بِهِ إِلَى أَقْوَمِ الطُّرُقِ وَأَوْضَحِ السُّبُلِ، وَافْتَرَضَ عَلَى الْعِبَادِ طَاعَتَهُ وَتَعْزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ وَمَحَبَّتَهُ وَالْقِيَامَ بِحُقُوقِهِ، وَسَدَّ دُونَ جَنَّتِهِ الطُّرُقَ، فَلَنْ تُفْتَحَ لِأَحَدٍ إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِ، فَشَرَحَ لَهُ صَدْرَهُ، وَرَفَعَ لَهُ ذِكْرَهُ، وَوَضَعَ عَنْهُ وِزْرَهُ، وَجَعَلَ الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ.

من واحة الشعر الدعوي

يَا مُنْزِلَ الآيَاتِ وَالْفُرْقَانِ * بَيْنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ

اشْرَحْ بِهِ صَدْرِي لِمَعْرِفَةِ الْهُدَى * وَاعْصِمْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الشَّيْطَانِ

يَسِّرْ بِهِ أَمْرِي وَأَقْضِ مَآرِبِي * وَأَجِرْ بِهِ جَسَدِي مِنَ النِّيرَانِ

وَاحْطُطْ بِهِ وِزْرِي وَأَخْلِصْ نِيَّتِي * وَاشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَصْلِحْ شَانِي

وَاكْشِفْ بِهِ ضُرِّي وَحَقِّقْ تَوْبَتِي * وَارْبِحْ بِهِ بَيْعِي بِلاَ خُسْرَانِ

طَهِّرْ بِهِ قَلْبِي وَصَفِّ سَرِيرَتِي * أَجْمِلْ بِهِ ذِكْرِي وَأَعْلِ مَكَانِي

وَاقْطَعْ بِهِ طَمَعِي وَشَرِّفْ هِمَّتِي * كَثِّرْ بِهِ وَرَعِي وَأَحْيِ جَنَانِي

أَسْهِرْ بِهِ لَيْلِي وَأَظْمِ جَوَارِحِي * أَسْبِلْ بِفَيْضِ دُمُوعِهَا أَجْفَانِي

امْزِجْهُ يَا رَبِّي بِلَحْمِي مَعْ دَمِي * وَاغْسِلْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الأَضْغَانِ

أَنْتَ الَّذِي صَوَّرْتَنِي وَخَلَقْتَنِي * وَهَدَيْتَنِي لِشَرَائِعِ الإِيمَانِ

أَنْتَ الَّذِي عَلَّمْتَنِي وَرَحِمْتَنِي * وَجَعَلْتَ صَدْرِي وَاعِيَ الْقُرْآنِ

أَنْتَ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي وَسَقَيْتَنِي * مِنْ غَيْرِ كَسْبِ يَدٍ وَلاَ دُكَّانِ

وَجَبَرْتَنِي وَسَتَرْتَنِي وَنَصَرْتَنِي * وَغَمَرْتَنِي بِالْفَضْلِ وَالإِحْسَانِ

أَنْتَ الَّذِي آوَيْتَنِي وَحَبَوْتَنِي * وَهَدَيْتَنِي مِنْ حَيْرَةِ الْخِذْلاَنِ

وَزَرَعْتَ لِي بَيْنَ الْقُلُوبِ مَوَدَّةً * وَعَطَفْتَ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ

وَنَشَرْتَ لِي فِي الْعَالَمِينَ مَحَاسِنًا * وَسَتَرْتَ عَنْ أَبْصَارِهِمْ عِصْيَانِي

وَجَعَلْتَ ذِكْرِي فِي الْبَرِيَّةِ شَائِعًا * حَتَّى جَعَلْتَ جَمِيعَهُمْ إِخْوَانِي

وَاللهِ لَوْ عَلِمُوا قَبِيحَ سَرِيرَتِي * لأَبَى السَّلاَمَ عَلَيَّ مَنْ يَلْقَانِي

وَلأَعْرَضُوا عَنِّي وَمَلُّوا صُحْبَتِي * وَلَبُؤْتُ بَعْدَ كَرَامَةٍ بِهَوَانِ

لَكِنْ سَتَرْتَ مَعَايِبِي وَمَثَالِبِي * وَحَلِمْتَ عَنْ سَقَطِي وَعَنْ طُغْيَانِي

فَلَكَ الْمَحَامِدُ وَالْمَدَائِحُ كُلُّهَا * بِخَوَاطِرِي وَجَوَارِحِي وَلِسَانِي

وَلَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ رَبِّ بِأَنْعُمٍ * مَا لِي بِشُكْرِ أَقَلِّهِنَّ يَدَانِ

فَوَحَقِّ حِكْمَتِكَ الَّتِي آتَيْتَنِي * حَتَّى شَدَدتَّ بِنُورِهَا بُرْهَانِي

لَئِنِ اجْتَبَتْنِي مِنْ رِضَاكَ مَعُونَةٌ * حَتَّى تُقَوِّيَ أَيْدُهَا إِيمَانِي

لأُسَبِّحَنَّكَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً * وَلَتَخْدُمَنَّكَ فِي الدُّجَى أَرْكَانِي

وَلأَذْكُرَنَّكَ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا * وَلأَشْكُرَنَّكَ سَائِرَ الأَحْيَانِ

وَلأَكْتُمَنَّ عَنِ الْبَرِيَّةِ خَلَّتِي * وَلأَشْكُوَنَّ إِلَيْكَ جَهْدَ زَمَانِي

وَلأَقْصِدَنَّكَ فِي جَمِيعِ حَوَائِجِي * مِنْ دُونِ قَصْدِ فُلاَنَةٍ وَفُلاَنِ

وَلأَحْسُمَنَّ عَنِ الأَنَامِ مَطَامِعِي * بِحُسَامِ يَأْسٍ لَمْ تَشُبْهُ بَنَانِي

وَلأَجْعَلَنَّ رِضَاكَ أَكْبَرَ هِمَّتِي * وَلأَضْرِبَنَّ مِنَ الْهَوَى شَيْطَانِي

وَلأَكْسُوَنَّ عُيُوبَ نَفْسِي بِالتُّقَى * وَلأَقْبِضَنَّ عَنِ الْفُجُورِ عِنَانِي

وَلأَمْنَعَنَّ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا * وَلأَجْعَلَنَّ الزُّهْدَ مِنْ أَعْوَانِي

وَلأَتْلُوَنَّ حُروفَ وَحيِكَ فِي الدُّجى *** وَلأُحْرِقَنَّ بِنورِهِ شَيطاني[1]

(١) مقطع من نونية القحطاني